الباب الثاني

منهج الرسعني في التفسير

- الطريقة والمنهج والفرق بينهما .
- مصادر الرسعني في التفسير
- منهجه في التفسير بالمأثور
- منهجه في التفسير بالرأي
- مسلك الرسعني في الحديث، والعقيدة ، والفقه وأصوله ، وتأثره بالزمخشري وردوده عليه

الفصل الأول

مصادر الرسعني في تفسيره

- مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن
- مصادره من كتب الحديث والفقه
- مصادره من كتب اللغة والنحو والأدب
- مصادره من كتب السيرة والزهد والرقائق وأخرى

تمهيد

الطريقة والمنهج

يستحسن قبل البدء في بيان حياة الرسعني الاجتماعية والعلمية أن أقدّم بين يدي الموضوع في إيضاح الفرق بين الطريقة والمنهج وبيان مدلول الكلمتين .

أولاً : الطريقة لغة واصطلاحاً

١ - لغة

أُخذت من «طرق» أو الطرق وهو الضرب ، أو بالمطرقة[١]، وقيل أصل الطرق الضرب ، ومنه سُميت مطرقة الصائغ والحداد ؛ لأنه يطرق بها ، أي يضرب بها[٢]، وطريقة الرجل مذهبه[٣].

وفي قوله تعالى ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴾ (الجن:١٦) ، قال الطبري : «لو استقام هؤلاء القاسطون على طريقة الحق والاستقامة لوسعنا عليهم في الرزق»[٤]، وفي قوله تعالى ﴿ وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴾ (طه:٦٣) ، قال الطبري : « إن الطريقة هنا السنة ، الدين ، وقيل : هي طريقة قومه ، ونظيرتهم إذا كان سيدهم وشريفهم المنظور إليه»[٥].

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي ٩٠٣ ، مادة (طرق) ، (إشراف : محمد نعيم العرقسوسي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٨ ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م) .

(٢) لسان العرب لابن منظور ١٠٩/٩ ، مادة (طرق) ، (دار صادر ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٠م) وقال ابن منظور : وللطريقة عدة معان منها ، السيرة ، والمذهب ، والحال ، والحظ ، والسنة ، والدين ١١٢/٩، ١١٣ .

(٣) الصحاح ، إسماعيل بن حماد الجوهري ١٥١٣/٤ (تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م) .

(٤) جامع البيان للطبري ١١٤/٢٨ (دار الفكر ، بيروت ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٤م) .

(٥) المصدر السابق ١٨٢/١٥ .

٢- اصطلاحاً

هي المظهر الشكلي للطريقة التي يسلكها المفسر في تفسيره للقرآن الكريم ، أو ما يمكن أن نعبر عنه بأنه الناحية الشكلية التي ترتسم في مخيلة الباحث بعد قراءته للتفسير[١]، وقيل : هي كيفية استخدام المفسر للأفكار النظرية والترتيب والملاءمة بينها وبين ما ينقل من آثار حول النص وظروفه وملابساته والترتيب الداخلي بين هذه الآثار نفسها من سبب لنزول الآية ، وما ورد فيها من قراءات ولغات ، وما إذا كانت محكمة أو منسوخة[٢].

ويمكن التعبير عن كل هذا بأن الطريقة هي : الإطار العام في التفسير الذي سار عليه المفسر في تفسيره .

ثانياً : المنهج لغة واصطلاحاً

١- لغة

المنهج : هو الطريق الواضح كالمنهج والمنهاج ، وأنهج وضح وأوضح ، وأنهج الطريق سلكه ، واستنهج الطريق صار نهجاً كأنهج[٣].

وأنهج الطريق أي استبان وصار نهجاً واضحاً بيّناً ، ونهجت الطريق أبنته وأوضحته ، والنهج الطريق المستقيم[٤]، قال تعالى ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ (المائدة:٤٨) ، قال الطبري : وأما المنهاج فإن أصله الطريق الواضح ، ثم يستعمل في كل شيء كان بيّناً واضحاً سهلاً[٥].

---

(١) ابن جُزَي ومنهجه في التفسير ، علي الزبيري ٣٣٨/١ بتصرف ، (دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م) .

(٢) البغوي الفراء وتفسيره للقرآن الكريم ، دكتور محمد إبراهيم شريف ٢٨٩ بتصرف ، (مطبعة المدينة ، القاهرة ، ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م)، ومثل هذه المعاني أو قريباً منها أشار إليها الدكتور عدنان زرزور في رسالته الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير : ٣٥٣ ، ٣٥٤ (مؤسسة الرسالة ، بيروت ، بدون سنة طبع) .

(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادي ٢٠٨ ، مادة (نهج) .

(٤) لسان العرب لابن منظور ٣٦٥/١٤ ، مادة (نهج) .

(٥) جامع البيان للطبري ٢٦٩/٥ .

ويبدو أن مدلول كلمتي الطريقة والمنهج متقارب لغة كما يلاحظ من خلال التعريف .

١ - اصطلاحاً

هي الطريقة الموضوعية التي عالج بها المفسر قضايا التفسير المختلفة مع إبراز رأيه وتحديد موقفه حيال هذه القضايا ، فالمنهج يُعنى بالدراسة الموضوعية[١]، أو هو تلك الأفكار النظرية التي صاغها المفسر في تفسيره والتزم تطبيقها وإبرازها من خلال تفسيره ، والأُسس العامة التي بنى اختياراته وترجيحاته[٢].

والخلاصة في هذا أن الطريقة تُعنى بالشكل والمظهر العام للتفسير ، من حيث تفسير الآية كاملة أم جزءاً منها ، وهل يبدأ باللغة أم بسبب النزول .. إلخ.

وأما المنهج فهو المضمون أو ما يُعنى بالدراسة الموضوعية ، ويبدو أن أحدهما يكمل الآخر في رسم ملامح صورة التفسير بمخيلة القارئ في نهاية المطاف .

ثالثاً : طريقة الرسعني في تفسيره[٣]

بعد ما سبق من بيان الفرق بين الطريقة والمنهج ، أود أن أجمل الكلام عن طريقة الرسعني في تفسيره بهذه النقاط ، مؤخراً بيان منهجه لما سيأتي من المباحث .

١- رتّب الرسعني تفسيره ـ كمعظم المفسرين ـ حسب ترتيب القرآن الكريم فابتدأ من سورة الفاتحة وانتهى بسورة الناس .

٢- يُعدّ تفسير الرسعني من التفسير الجُمَلي الذي يجزّئ الآية بعد أن يوردها كاملة ، ولا يفسر كل الآية ، وأحياناً يفسرها كاملة ، ففي قوله تعالى

---

(١) ابن جزي للزبيري ٣٨٨/١ بتصرف .

(٢) البغوي الفراء وتفسيره ، دكتور محمد إبراهيم شريف ٢٨٩ بتصرف .

(٣) أُخذت فكرة التفريق بين الطريقة والمنهج ، وتوضيح ذلك بالأمثلة من الشيخ علي الزبيري في رسالته ابن جزي ومنهجه في التفسير ٣٠٤/١-٣٤٧ .

﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:٧٨)، فسّر منها ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ ﴾ ، و﴿ لَفَرِيقًا يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ ﴾ [١]، وأما تفسيره الآية كاملة كما في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ (آل عمران:٨١)[٢].

٣- لم يكن الرسعني في تفسيره الآيات القرآنية على وتيرة واحدة بحيث يبدأ باللغة ، ثم بأسباب النزول ، ثم بالقراءات ، ثم بالمعنى العام للآيات ، فكان يُقدِم اللغة ، وأحياناً أسباب النزول ، وأحياناً يبدأ بالقراءات[٣].

٤- يُقدِّم تمهيداً في بداية السور فيذكر عدد آيات السورة ، وهل هي مكية أو مدنية ، وهذا يكاد يكون في معظم التفسير .

٥- السمة البارزة في التفسير هي الميل للتفصيل في جانب القراءات وتوجيهها ، وكذلك عنايته باللغة ونسبة الأقوال لقائليها في معظم الأحيان ، فضلاً عن تفسيره بالمأثور من أقوال الصحابة والتابعين .

٦- لا يخلو التفسير من الإحالات لمواضع متقدمة أو متأخرة في الكتاب[٤]، وأحياناً يترك تفسير بعض الآية دون إحالة[٥].

٧- كثرة مروياته بسنده عن شيوخه ، مما يدل على بضاعته الحديثية المتميزة في هذا المجال[٦].

---

(١) رموز الكنوز ١/٢٢٤ .

(٢) المصدر السابق ١/٢٢٩ وما بعدها .

(٣) المصدر السابق على سبيل المثال ١/٢٣٢ ، ٢٥٩ ، ٤٠٢ ، ٤١٠ ، ٥٠٣ ، ٥٠٩ ، ٥٣٤ وغيرها .

(٤) المصدر السابق ١/١٤٦ ، ١/٣٩١ ، ٣/٢١٠ ، ٢٣١ ، ٤٢٢ .

(٥) المصدر السابق ٣/٤٣٢ ، ٤/٦٢٦ ، ٥/١١٤ ، ٦/٢٦٨ وغيرها .

(٦) المصدر السابق ١/٢١٠ ، ٣٦٦ ، ٤٠٣ ، ٢/٤٠٥ ، ٣/١٦٢ ، ٤/٥٤٢ وغيرها .

٨- يُكثر من أسلوب السؤال والجواب ، وغالباً ما يكون لبيان غامض أو دفعاً لإشكال أو شبهة ، وهذا الأسلوب يبدو أنه مأخوذ من الزمخشري وتأثره به من هذا الجانب[١].

٩- يعقد فصولاً للآيات وخاصة فيما يتعلق بفقه وأحكام الآيات[٢].

١٠- يختصر الآية أو الحديث عند استدلاله به ، أو لا يذكر النص بكامله كما في المثالين الآتيين :

ففي قوله تعالى ﴿ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ﴾ (آل عمران:١٩٣) ، قال الرسعني : « ﴿ يُنَادِى لِلْإِيمَـٰنِ ﴾ قال الفرّاء : المعنى ينادي إلى الإيمان ، ومثله قوله تعالى ﴿ هَدَىٰنَا لِهَـٰذَا ﴾(الأعراف:٤٣) »[٣].

وفي قوله تعالى ﴿ مَّن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَـٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴾ (النساء:٨٥) ، قال الرسعني : « فيدخل في الشفاعة الحسنة كل شفاعة جلبت للإنسان خيراً ، ونفت عنه شراً ، والإصلاح بين الناس والدعاء للمؤمنين ، والسيئة بخلاف ذلك ، وثبت عنه ﷺ من حديث ابن عمر أنه قال : (من حالت شفاعته دون حدٍّ من حدود الله ، فقد حادّ الله في ملكه) »[٤].

---

(١) رموز الكنوز ٢١٢/٣ ، ٩٦/٤ ، ٢٧٠/٥ ، ٥٦٨/٦ ، ٢٠٩/٧ ، ٤٢٩/٨ .

(٢) المصدر السابق ٤٢٣/١ ، ٤٢٤ ، ٤٣٦ ، ١١/٨ وغيرها .

(٣) المصدر السابق ٣٩٦/١ .

(٤) المصدر السابق ٥٧٤/١ ، والحديث أخرجه أبو داود في كتاب القضاء ، باب في الرجل يعين على خصومة من غير أن يعلم أمرها برقم : ٣٥٩٧ ، وأحمد في المسند ٧٠/٢ ، ولفظ الحديث كما في سنن أبي داود بسنده قال : جلسنا لعبد الله بن عمر فخرج إلينا فجلس فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :(من حالت شفاعته دون حدّ من حدود الله فقد ضادّ الله ، ومن خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع عنه ، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال) ، والحديث صحيح ، انظر : إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل للشيخ محمد ناصر الدين الألباني ٣٤٩/٧ (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م) .

المبحث الأول

مصادره من كتب التفسير وعلوم القرآن

لا يستغني مفسر عن الإفادة ممن سبقه ، وتتنوع الفائدة بحسب سعة اطلاع المفسر على العلوم التي لها صلة وثيقة أو ثانوية بما سيكتب وبما يخدم فهم النص القرآني ، وسنتعرف من خلال هذه المباحث على مدى اهتمام الرسعني وإفادته من كتب المتقدمين .

أولاً : كتب التفسير

١ - تفسير مقاتل بن سليمان (١٥٠هـ)[1]

من أقدم التفاسير التي اعتمد عليها الرسعني كثيراً ، وأشار إلى اسم مقاتل بين جنبات التفسير كما في الأمثلة الآتية :

يتصرف في النص الذي ينقله عن مقاتل بن سليمان كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ (التوبة:٣٦) قال الرسعني : «قال مقاتل : المعنى لا تظلموا أحداً بالقتال في الشهر الحرام إلا أن يسوؤكم بالقتل» ، وعبارة مقاتل كما وجدتها في تفسيره

---

(١) هو : مقاتل بن سليمان بن بشير أبو الحسن الأزدي الخراساني ، له التفسير المشهور واختلف في توثيقه فمنهم من وثقه ، ومنهم من ضعّفه ، توفي سنة ١٥٠هـ في البصرة ، ينظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/٢٥٥ برقم : ٧٣٣ (تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ ، ١٩٧٧م) ، وسير أعلام النبلاء للذهبي ٧/٢٠١ .

«يعني في الأشهر الحرام ، يعني بالظلم ألا تقتلوا فيهن أحداً من مشركي العرب ، إلا أن يبدأوا بالقتل»[1] ويلاحظ أنه يأخذ المعنى ويصيغه بأسلوبه .

وفي قوله تعالى ﴿ وَٱبۡيَضَّتۡ عَيۡنَاهُ مِنَ ٱلۡحُزۡنِ فَهُوَ كَظِيمٞ ﴾ (يوسف:٨٤) قال الرسعني «قال مقاتل : لم يبصر بعينيه ست سنين حتى كشفه الله تعالى بقميص يوسف»[2] بينما وجدت عبارة مقاتل «ست سنين لم يبصر بهما»[3].

وكان يرد قول مقاتل أحياناً ولا يرضاه ، كما في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدۡ كَانُواْ عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلۡأَدۡبَٰرَۚ وَكَانَ عَهۡدُ ٱللَّهِ مَسۡـُٔولٗا ﴾ (الأحزاب:١٥) ، «قال الرسعني : قال مقاتل : هم أهل العقبة ، وكانوا سبعين رجلاً بايعوا رسول الله ﷺ على طاعة الله تعالى ونصرهم رسوله ، قال الرسعني : وهو قول فاسد ؛ لأن الحديث عن المنافقين فكيف يصرف إلى أهل العقبة الذين هم أمثل أصحابه ، والصحيح أنهم المنافقون كما قاله ابن إسحاق»[4].

٢- جامع البيان (ابن جرير الطبري ت ٣١٠هـ)[5]

اعتمد الرسعني على تفسير الإمام الطبري كثيراً ، وخاصة فيما يتعلق بالتفسير بالمأثور ، وقد كان يشير إلى هذا التفسير باسم مؤلفه وهذه بعض الأمثلة التي تبيّن اعتماده على هذا التفسير ونقله عنه في مختلف العلوم .

---

(١) رموز الكنوز ٤٨٩/٢ ، تفسير مقاتل بن سليمان ٤٦/٢ (تحقيق : أحمد فريد ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٣م) .

(٢) رموز الكنوز ٣٩٦/٣ .

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان ١٦١/٢ .

(٤) رموز الكنوز ١٢٠/٦ ، تفسير مقاتل ٣٩/٣ .

(٥) هو : محمد بن جرير بن يزيد بن خالد أبو جعفر الطبري ، وقيل يزيد بن كثير ابن غالب ، الإمام ، المفسر ، المؤرخ ، صاحب التصانيف الكثيرة منها التفسير الكبير المعروف ، وتاريخ الطبري المسمى تاريخ الرسل والملوك وغيرها ، توفي سنة ٣١٠هـ ببغداد ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٩١/٤ ، شذرات الذهب لابن العماد ٢٦٠/٢ .

يعتمد على هذا التفسير في المسائل اللغوية ففي قوله تعالى ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ ﴾ (النساء:٣) قال الرسعني : « قال ابن جرير : أراد الفعل ولم يرد أعيان النساء ، فلذلك قال : (ما) ولم يقل (مَن) »[١].

وفي قوله تعالى ﴿ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ ﴾ (آل عمران:٩٧) قال الرسعني : « قال ابن جرير : فيه إضمار تقديره منها مقام إبراهيم »[٢].

أفاد الرسعني أيضاً من الآراء الفقهية للطبري ففي قوله تعالى ﴿ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ۚ وَاذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ (الكهف:٢٤) قال الرسعني : « قال ابن جرير : الصواب للإنسان أن يستثني ولو بعد حنثه في يمينه فيقول (إن شاء الله) ليخرج بذلك مما ألزمه الله تعالى في هذه الآية ، فيسقط عنه الحرج ، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال ، إلا أن يكون الاستثناء موصولاً بيمينه »[٣]، وقد تبين لي بعد المقابلة بين النصّين أن الرسعني يحذف من كلام الطبري بعض الكلمات دون أن تخل بالمعنى ، وهذا نص الطبري كما جاء في تفسيره : « الصواب أن يستثني ولو بعد حنثه في يمينه فيقول إن شاء الله ليخرج بقيله ذلك مما ألزمه الله في ذلك بهذه الآية ، فيسقط عنه الحرج بتركه ما أمره بقيله من ذلك ، فأما الكفارة فلا تسقط عنه بحال ، إلا أن يكون استثناؤه موصولاً بيمينه »[٤]، وعلى العموم حذف الرسعني بعض الكلمات التي لا تخل بالمعنى تدلّ على دقة اختياره وحسن انتقائه للعبارة مع أمانة النقل التي عرف بها من نسبة الأقوال إلى قائليها .

كما أنه ينقل عن الطبري ولا يشير إليه ، ولعل هذا كان سائغاً ومتعارفاً عليه وخاصة فيما يتعلق بالمأثور ، كما في قوله تعالى ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا

---

(١) رموز الكنوز ٤١٥/١ ، جامع البيان لابن جرير الطبري ٢٣٧/٤ .
(٢) رموز الكنوز ٢٤٨/١ ، جامع البيان للطبري ١١/٤ .
(٣) رموز الكنوز ٢٦٩/٤ .
(٤) جامع البيان للطبري ٢٢٩/١٥ .

زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ (آل عمران:٣٧)، قال الرسعني : «قال الربيع بن أنس : كان زكريا إذا خرج أغلق عليها سبعة أبواب ، فإذا دخل وجد عندها رزقاً ، وقال ابن عباس : هو ثمار الجنة ، كان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء»[١].

وعلى الرغم من اعتماد الرسعني على تفسير الطبري إلا أنه قد يرد له قولاً أو لا يرضى له آخر ؛ مما يدل على سعة أفقه وتحرره في آرائه .

ففي قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴾ (يوسف:٥٠) يرى الرسعني أن المقصود هو الله تعالى ؛ حيث قال : «أي أن الله ، وقال ابن جرير : المعنى إن سيدي العزيز بكيدهن عليم ، والأول أظهر ومراده أنه كيد عظيم لا يعلمه إلا الله لبعد غوره»[٢].

ولقد ذكر الطبري الرأي الأول أيضاً فقال «إن الله تعالى ذكره ذو علم بصنعهن وأفعالهن التي فعلن بي ويفعلن بغيري من الناس ، لا يخفى عليه ذلك كله»[٣]، ثم ذكر القول الثاني الذي لم يرضه الرسعني كما سبق .

٣- الكشف والبيان (الثعلبي ت ٤٢٧هـ)[٤]

من التفاسير التي اعتمد عليها الرسعني أيضاً تفسير الثعلبي المسمى بـ(الكشف والبيان في تفسير القرآن) وقد أشار إليه باسم مؤلفه كثيراً ، وهذه بعض الأمثلة :

---

(١) رموز الكنوز ١/١٦٥، ١٦٦ ، جامع البيان للطبري ٣/٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(٢) رموز الكنوز ٣/٣٥٨ .

(٣) جامع البيان للطبري ١٢/٢٣٦ .

(٤) هو : أحمد بن إبراهيم أبي إسحاق الثعلبي النيسابوري ويقال له الثعالبي أيضاً ، كان رأساً في التفسير والعربية ، وله كتاب العرائس في قصص الأنبياء ، توفي سنة ٤٢٧هـ ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١/٧٩ برقم : ٣١، شذرات الذهب لابن العماد ٣/٢٣٠ .

ينقل النص كاملاً كما هو ، وقد يحذف منه قليلاً كما في مثالنا هذا ؛ فحذف من بداية الكلام سطرين ، فقد قال عند قوله تعالى ﴿ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ (النساء:١٠٨) « قال الثعلبي : استدلت الجهمية والمعتزلة بهذه الآية على أن الله في مكان وهذا لا يوجب ذلك ؛ لأنه قال ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴾ (الملك:١٦) ، ولم يرد بقوله : أنه في السماء معنى غير الذات ؛ لأن القول بأن زيداً في موضع كذا من غير أن يقيد بذكر فعل شيء من الأشياء ، لا يكون إلا بالذات ، وقال تعالى ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ (فاطر:١٠)، وقال ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ (السجدة:٥) ، فأخبر أنه يدبر الأشياء من السماء ، ولا يجوز أن يكون معهم بذاته ، ثم يدبر من السماء إلى الأرض ، وإليه يصعد الكلم الطيب »[1].

ينتقي من كلام الثعلبي قولاً وينقله كما هو مما يدل على أمانته العلمية ، وحسن اختياره ففي قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ (الأعراف:٥٤) قال الثعلبي : « قال أهل الحق من المتكلمين أحدث الله فعلاً سمّاه استواء ، وهو كالإتيان والمجيء والنزول ، كلها من صفات أفعاله »[2].

كما أنه استشهد بهذا التفسير على مسائل لغوية كما في قوله تعالى ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَـٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ (الكهف:٢٢) ، قال الثعلبي : « وهذا واو الحكم والتحقيق كأن الله تعالى حكى اختلافهم فتم الكلام عند قوله

---

(١) رموز الكنوز ١/٦١٤ ، ٦١٥ ، الكشف والبيان للثعلبي ٢/٣٥٥ (تحقيق : سيد كسروي ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م) .

(٢) رموز الكنوز ٢/١٥١ ، الكشف والبيان للثعلبي ٣/٢٨ .

﴿ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ ﴾ ثم حكى أن ثامنهم كلبهم»[1]، وقد لاحظت أن نقله كان نصًّا دون تصرف بكلام الثعلبي، وعقب الرسعني موافقاً لقول الثعلبي فقال: «وعلى هذا أكثر العلماء أن عدة أصحاب الكهف سبعة»[2].

استدراكه على الثعلبي، كما في تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴾ (المسد:٤)، قال الثعلبي: «قال قتادة: كانت تعيّر رسول الله بالفقر، وكانت تحتطب فعيّرت بذلك، فقال الثعلبي: وهذا قول ليس بقوي؛ لأن الله وصفهم بالمال والولد، وحمل الحطب ليس بعيب، ثم قال الرسعني: معقباً على كلام الثعلبي، قلت: وليس هذا التضعيف بشيء؛ لأن الاحتطاب مع كثرة المال دناءة وخسّة يأباها ذوو الأنَفَة»[3].

٤- النكت والعيون (الماوردي ت ٤٥٠هـ)[4]

اعتمد الرسعني على تفسير الماوردي كثيراً، وكان يذكره باسم مؤلفه كما في الأمثلة الآتية التي توضح ذلك.

ففي قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾ (التوبة:٤٦) قال الرسعني: «وحكى الماوردي أن النبي ﷺ قال ذلك لهم غضباً عليهم، وعبارة الماوردي قال فيها: إنه النبي ﷺ غضباً عليهم، لعلمه بذلك منهم، ويلاحظ اختصار الرسعني لكلام الماوردي أو صياغته العبارة بالمعنى وتصرفه في النقل، ثم حكى الرسعني قولاً آخر في ذات الموضوع فقال: «وقيل مع القاعدين بعذر كالنساء والصبيان»[5].

---

(١) رموز الكنوز ٢٦٥/٤، الكشف والبيان للثعلبي ١١٢/٤.

(٢) رموز الكنوز ٢٦٥/٤.

(٣) رموز الكنوز ٧٦٣/٨، الكشف والبيان للثعلبي ٥٨٩/٦.

(٤) هو: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري، الشافعي المعروف بالماوردي، له تصانيف منها الحاوي، وأدب الدين والدنيا، والأحكام السلطانية، توفي ٤٥٠هـ ودفن ببغداد، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٨٢/٣ برقم ٤٢٨، شذرات الذهب لابن العماد ٢٨٥/٣.

(٥) رموز الكنوز ٥١١/٢، النكت والعيون، علي بن محمد الماوردي ٣٦٨/٢ (تحقيق: السيد عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م).

نقله للنص كما هو مع تعديل طفيف ، ومثال ذلك : جمعه لكلمة الكافر وهذا لا يؤثر كما هو معروف ، فعند قوله ﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾ (يونس:١١) قال الرسعني : « وحكى الماوردي أن المعنى ولو يعجل الله للكافرين العذاب على كفرهم ، كما عجل لهم خير الدنيا من المال والولد ، لعجل لهم قضاء آجالهم ليتعجلوا عذاب الآخرة »[1].

وأحياناً لا يرتضي بعض أقوال الماوردي فيضعفها ويردها ، كما في قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ﴾ (العنكبوت:١٤) قال الرسعني : « حكى الماوردي أن هذا مقدار عمره كله ، وليس هذا بصحيح ؛ لأن اللبث مرتب على الرسالة بفاء التعقيب ، فالآية بيان لمقدار لبثه فيهم رسولاً »[2]، وقد نقد الرسعني طريقة الماوردي في تفسيره بذكر الأقوال المتعددة التي حاصلها قول واحد ، ففي قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ (محمد:٢) قال الرسعني : « قال الماوردي في قوله ﴿ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴾ أربعة أقوال : **أحدها** : شأنهم قاله مجاهد ، **والثاني** : أصلح حالهم ، قاله قتادة ، **والثالث** : أصلح أمرهم ، قاله ابن عباس ، ثم قال الرسعني معقباً : وهكذا ترى معظم كتابه على هذا النمط يعدد أقوالاً حاصلها قول واحد» **والرابع** : أصلح قلبهم ، قاله النقاش »[3].

ولعل الرسعني هنا قد جانب الصواب بنقده للماوردي ؛ لأن عبارة الماوردي التي ذكرها بعد القول الثالث تدلل على فهمه العميق لهذه الأقوال فقال : « والثلاثة متقاربة وهي متأولة على إصلاح ما تعلق بدنياهم ، ثم ذكر الرابع نياتهم وعقب بقوله : وهو على هذا التأويل محمول على إصلاح دينهم »[4].

---

(١) رموز الكنوز ١٣/١٦ ، النكت والعيون للماوردي ٢/٤٢٥ .

(٢) رموز الكنور ٥/٥٩٨ .

(٣) المصدر السابق ٧/٢٤٧.

(٤) النكت والعيون للماوردي ٥/٢٩١ ، ٢٩٢ .

٥- الوسيط (الواحدي ت ٤٦٨هـ) [١]

نقل الرسعني عن الواحدي ذاكراً في الغالب اسمه ، وفي بعض الأحيان يذكر اسمه وتفسيره ، وفيما يأتي بعض الأمثلة :

ففي قوله ﴿ وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِّنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (النساء:٧٣) ، قال الرسعني : قال الواحدي : « قوله ﴿ كَأَن لَّمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ ﴾ متصل بقوله ، ـ وفي الوسيط متصل في النظم ـ بقوله ﴿ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُن مَّعَهُمْ شَهِيدًا ﴾ (النساء:٧٢) كأن لم تكن بينكم وبينه مودة »[٢].

وفي قوله تعالى ﴿ قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ﴾ (يوسف:٦٤) قال الرسعني : « قال الواحدي : يقول لا آمنكم على بنيامين إلا كأمني على يوسف ، يريد أنه لم ينفعه ذلك الأمن وأنهم خانوه ، فهو وإن أمنهم في هذا خائف من خيانتهم أيضاً »[٣].

ويظهر من خلال المثالين المتقدمين أن الرسعني رحمه الله ينقل عن الواحدي نصًّا ولا يتصرف فيه ، وقد لاحظت هذا من خلال المقابلة بين النصين وكان أميناً في نقله ، ولم يقتصر استدلاله بالوسيط على معنى الآيات ، وإنما استشهد به في مواضع عديدة على مسائل لغوية كما في المثال :

ففي قوله تعالى ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ﴾ (آل عمران:١٣)، قال :

---

(١) هو : أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي النيسابوري ، المفسر ، تلميذ أبي إسحاق الثعلبي ، كان رأساً في اللغة العربية وله مصنفات عديدة منها الوجيز ، والوسيط ، والبسيط في التفسير ، وأسباب النزول ، توفي سنة ٤٦٨هـ بنيسابور . ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري ١/٥٢٣، شذرات الذهب لابن العماد ٣/٣٣٠ .

(٢) رموز الكنوز للرسعني ١/٥٥٨، الوسيط للواحدي ٢/٨٠ ، (ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٤م).

(٣) رموز الكنوز ٣/٣٧٥ ، الوسيط ٢/٦٢١ .

« قال الواحدي : قوله ﴿ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ يجوز أن تكون مصدراً ، تقول رأيته رأياً ورؤية ، ويجوز أن تكون ظرفاً للمكان ، كما تقول ترونهم أمامكم »[1].

كان الرسعني يستدرك أحياناً على الواحدي ولا يرتضي قوله ، كما في قوله تعالى ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴾ (الصافات:١١) ، قال الرسعني : « قال الواحدي : المعنى أن هؤلاء الكفار خلقوا مما خلق منه الأولون فليسوا بأشد خلقاً منهم ، وهذا إخبار عن التسوية بينهم وبين غيرهم من الأمم في الخلق »[2]، ثم عقب الرسعني بقوله : « وهذا عندي غير مستقيم ؛ لأن الأمم الماضية كانت أحكم بنية ، وأشد قوة ، وأعظم إجراماً ، وقد نطق القرآن بأنهم كانوا أشد منهم قوة في مواضع ، وإنما أراد الله تعالى تقريرهم بضعفهم بالنسبة إلى الذين من قبلهم ، لتتضاءل أنفسهم عندهم حيث يعظموا شدة قواهم ، ثم بين ضعف الجميع بقوله تعالى ﴿ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴾[3]، وبالمقابلة بين النصين وجدت أن نقل الرسعني كان فيه تصرف ولم ينقله كما جاء في الوسيط .

٦- معالم التنزيل (البغوي ت ٥١٦هـ)[4]

كذلك اعتمد الرسعني على تفسير البغوي ، وقد تعددت أنواع نقله ، وكان يذكر الرسعني هذا التفسير باسم مؤلفه دائماً ، كما في الأمثلة الآتية :

ففي قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ﴾ (المجادلة:٣)، ذكر أقوالاً في

---

(١) رموز الكنوز ١٣٣/١ ، الوسيط للواحدي ٤١٧/١ .

(٢) الوسيط للواحدي ٢٠/٣ .

(٣) رموز الكنوز ٣٧٥/٦ .

(٤) هو : أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء البغوي ، صاحب التصانيف المشهورة منها ، شرح السنة ، والمصابيح ، والتهذيب ، وغيرها ، توفي سنة ٥١٦هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٣٦/٢برقم ١٨٥ ، شذرات الذهب لابن العماد ٤٨/٤ .

العَوْد فقيل هو الوطء ، وقيل الغشيان ، وقيل العزم على الوطء ، ثم قال الرسعني : « قال البغوي : وهو مذهب أحمد ومالك رحمهما الله ؛ لأن الله تعالى أقر بالتكفير عقيب العود وقبل التماس »[1] بقوله ﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ وبالمقابلة بين النصين وجدت أن الرسعني يلخص قول البغوي ولا ينقله نصًّا .

ينقل العبارة بالنص دون تصرف ، ولا يشير إلى تفسير البغوي كما في قوله تعالى ﴿ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴾ (الرحمن:٤٤)، قال الرسعني : « قال كعب الأحبار : إنه واد من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم وهم في الأغلال ، فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم ، ثم يخرجون وقد أحدث الله لهم خلقاً جديداً ، فيلقون في النار »[2].

٧- الكشاف (الزمخشري ت ٥٣٨هـ)[3]

اعتمد الرسعني على تفسير الكشاف كثيراً فلا تكاد تمرّ على القارئ بضع صفحات من التفسير إلا ويقع نظره على اسم هذا التفسير أو مؤلفه ، الذي كان يذكره الرسعني بالكشاف غالبًا[4] وأحياناً يقول قال صاحب الكشاف[5]، وله مناقشات كثيرة مع الزمخشري سيأتي ذكرها في دراسة المنهج فيما بعد وسأكتفي بمثالين لهذا التفسير .

---

(١) رموز الكنوز ١٠/٨، معالم التنزيل ، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي ٣٠٥/٤ (تحقيق : خالد عبد الرحمن ومروان سوار ، دار المعرفة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م) .

(٢) رموز الكنوز ٥٦٧/٧ ، معالم التنزيل للبغوي ٢٧٣/٤ .

(٣) هو : محمود بن عمر بن محمد بن عمر أبي القاسم الزمخشري الخوارزمي المعتزلي ، إمام عصره ، له تصانيف كثيرة منها المحاجاة بالمسائل النحوية ، أساس البلاغة ، وغيرها كثير ، وله شعر جميل ، توفي سنة ٥٣٨هـ بخوارزم ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٦٨/٥ برقم ٧١١ ، شذرات الذهب لابن العماد ١١٨/٤ .

(٤) انظر على سبيل المثال رموز الكنوز ٣٢٧/١ ، ٥١٠/٢ ، ٣٢/٣ .

(٥) انظر على سبيل المثال المصدر السابق ٤٠٨/٣ ، ١٩٦/٤ ، ٤٢٥/٤ .

ينقل الرسعني عن الزمخشري في معاني الآيات ويكون النقل نصًّا كما هو دون تصرف ، كما لاحظته في التفسيرين ، ففي قوله تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران:١٠٢) ، قال الرسعني : «قال الزمخشري : معناه لا تموتن[١] على حال سوى حال الإسلام ، إذا أدرككم الموت ، كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو ، لا تأتيني إلا وأنت على حصان ، لا تنهاه عن الإتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الإتيان»[٢].

استدل بالكشاف على كثير من المسائل اللغوية فعند قوله تعالى ﴿ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴾ (الحجر:٨)، قال الرسعني : «قال صاحب الكشاف : (إذاً) جواب وجزاء ؛ لأنه جواب لهم ، وجزاء الشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما أخر عذابهم»[٣] ، ويبدو أن الرسعني ارتضى هذا القول فلم يعقب عليه .

٨- زاد المسير (ابن الجوزي ت ٥٩٧هـ)[٤]

يعد تفسير زاد المسير لابن الجوزي من أهم مصادر الرسعني في تفسيره حيث أكثر النقل عنه ، وكان يذكر هذا التفسير مقروناً باسم مؤلفه وأحياناً بزاد المسير[٥] وهذه بعض الأمثلة .

---

(١) في الكشاف لا تكونن .

(٢) رموز الكنوز ٢٥٦/١، الكشاف للزمخشري ٤٥٠/١ (دار الفكر ، بيروت ، ١٤٢٨هـ).

(٣) رموز الكنوز ٥٨٦/٣ ، الكشاف ٣٨٧/٢.

(٤) هو : عبد الرحمن بن علي بن محمد الإمام الحافظ أبو الفرج بن الجوزي الحنبلي البغدادي صاحب التصانيف منها ، زاد المسير في علم التفسير ، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم وغيرها كثير ، توفي سنة ٥٩٧هـ ، ترجمته : في غاية النهاية لابن الجزري ٣٧٥/١ ، شذرات الذهب لابن العماد ٣٢٩/٤.

(٥) انظر على سبيل المثال رموز الكنوز ١٩٦/٤ ، ٣٥٤/٤.

ففي قوله تعالى ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ (آل عمران:٤١)، قال الرسعني : «قال الإمام أبو الفرج ابن الجوزي رضي الله عنه : جمهور العلماء على أنه إنما اعتقل لسانه آية على وجود الحمل»[1]، وهذه الجملة انتقاها الرسعني من كلام ابن الجوزي ونقلها كما هي .

وفي قوله تعالى ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ﴾(الأعراف:١٢٨)، قال الرسعني : «قال ابن الجوزي : المعنى اصبروا على ما يفعل بكم ، فإنه عليه السلام خاف عليهم الردة عند تفاقم الشدة»[2]، ولم أجد في زاد المسير إلا عبارة (ما يفعل بكم) ويبدو أن ما بعدها من كلام الرسعني .

وفي هذا المثال لم يشر الرسعني إلى المصدر الذي اعتمد عليه ، فعند قوله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (الأعراف:١٣٠) ، قال الرسعني : «قال قتادة : أما السَّنَة فكانت في بواديهم ومواشيهم ، وأما نقص الثمرات فكانت في أمصارهم وقراهم ، وقال ابن عباس في رواية الضحاك : يبس لهم كل شيء ، وذهبت مواشيهم حتى يبس نيل مصر ، فاجتمعوا إلى فرعون فقالوا : إن كنت ربّاً كما تزعم فاملأ لنا نيل مصر ، فقال غدوة يصبحكم الماء ، فلما خرجوا من عنده قال : أي شيء صنعت : أنا أقدر أن أجيء بالماء في نيل مصر ، أُصبح فيكذبوني ، فلما كان جوف الليل اغتسل ، ثم لبس مدرعة من صوف ، ثم خرج حافياً حتى أتى بطن نيل مصر ، فقام في بطنه فقال : اللهم إنك تعلم أني أعلم إنك تقدر أن تملأ نيل مصر فاملأه ، فما علم إلا بخرير الماء ، لما أراد الله به من الهلكة»[3]، ولم

---

(١) رموز الكنوز ١/١٧٣، زاد المسير لابن الجوزي ١/٣٨٦ (المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط١) .

(٢) رموز الكنوز ٢/٢٢٩ ، زاد المسير ٣/٢٤٥ ، ونقل نصًا كما هو من زاد المسير وأشار إليه ، ينظر على سبيل المثال رموز الكنوز ١/٤٥٩ ، زاد المسير ٢/٤٢ .

(٣) رموز الكنوز ٢/٢٣١ ، زاد المسير لابن الجوزي ٣/٢٤٧ .

يعقب الرسعني على هذه القصة ، ولم ينقل تعقيب ابن الجوزي عليها الذي قال : « وهذا الحديث بعيد الصحة ؛ لأن الرجل كان دهريًا لا يثبت إلهاً ، ولو صح كان إقراره كإقرار إبليس ، وتبقى مخالفته عناداً » ، كما أن الرسعني لم يشر إلى مصدر هذا الكلام ومن أين استقاه وهو موجود في زاد المسير نصًا كما لاحظت من خلال المقارنة بين التفسيرين .

ويعتمد الرسعني أيضاً على زاد المسير في المسائل اللغوية ، كما في قوله تعالى ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف:٨) ، قال الرسعني : « قال ابن الجوزي : إنما قال موازينه على الجمع ؛ لأن من في معنى الجمع ، ألا ترى أنه قال ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ »[1] ، وهذه العبارة تصرف فيها الرسعني كما لاحظتها حيث قال ابن الجوزي : « وإنما قال موازينه لأن من في معنى جميع ، يدل عليه قوله ﴿ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ﴾ »[2].

٩- الجامع لأحكام القرآن (القرطبي ت ٦٧١هـ)[3]

أما الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي فقد ذكره الرسعني في مواضع معدودة ، وصرح باسم المؤلف ، ومما ينبغي التنبيه إليه أن القرطبي هو من المعاصرين للإمام الرسعني رحمهما الله ، وهذا دليل على سبق القرطبي في تأليفه لهذا التفسير مما يجعل الرسعني يستشهد به ، فضلاً عن أهمية هذا التفسير ، وهذه بعض الأمثلة :

---

(١) رموز الكنوز ٨٣/٢ .

(٢) زاد المسير لابن الجوزي ١٦٩/٣ .

(٣) هو : أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي ، صاحب التصانيف : منها ، التذكار في أفضل الأذكار ، والتذكرة بأمور الآخرة ، توفي بمنية بني الخصيب من صعيد مصر سنة ٦٧١هـ ، ترجمته في شذرات الذهب لابن العماد ٣٣٥/٥ ، الديباج المذهب ، ابن فرحون المالكي ٣٠٨/٢ (تحقيق : دكتور محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث ، القاهرة) .

ففي قوله تعالى ﴿ صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴾ (ص:١)، قال الرسعني : « قال القرطبي : فيما يخص هذا الحرف هو مفتاح أسماء الله ، صمد ، صانع المصنوعات ، صادق الوعد »[١]، وهذه العبارة نقلها نصًّا من القرطبي التي ذكرها عن محمد بن كعب .

كما كان ينقل عنه أحياناً دون أن يشير إلى تفسير القرطبي كما في الآية ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ (الشورى:٤٣)، قال الرسعني : « ويروى أن رجلاً سبّ رجلاً في مجلس الحسن البصري ، فكان المسبوب يكظم ، ويعرق فيمسح العرق ، ثم قام فتلا هذه الآية ، فقال الحسن : عقلها والله وفهمها إذ ضيّعها الجاهلون »[٢]، وقد نقل الرسعني القصة كما هي ولم يتصرف فيها .

ثانياً : كتب علوم القرآن

١- معاني القرآن (الفرّاء ت ٢٠٧هـ) [٣]

معاني القرآن للفراء من الكتب المميزة التي اعتمد عليها الرسعني في تفسيره وغالباً ما كان يشير إليه باسم المؤلف ، كما في الأمثلة الآتية .

يتصرف في النص فيختصر كلام الفراء ، فعند قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ (آل عمران:٩١) ، قال الرسعني : « قال الفراء : الواو في قوله

---

(١) رموز الكنوز ٤٤٦/٦ ، الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ١٤٣/١٥ (دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٨٦هـ ، ١٩٦٧م) .

(٢) رموز الكنوز ٨٨/٧ ، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٤٤/١٦ .

(٣) هو : يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الأسلمي ، المعروف بالفرّاء الكوفي ، نحوي بارع له مصنّفات منها ، الحدود ، والمصادر في القرآن ، والوقف والابتداء وغيرها ، توفي سنة ٢٠٧هـ في طريق مكة . ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٧٦/٦ برقم ٧٩٨ ، وشذرات الذهب لابن العماد ١٩/٢ .

﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦ ﴾ قد يُستغنى عنها ، ولو حذفت ـ في غير القرآن الكريم[1] ـ كان صواباً ، كقوله ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ (الأنعام:٧٥) ، وهذه عبارة الفراء من كتابه ، قال : « الواو ها هنا قد يستغنى عنها ، فلو قيل ملء الأرض ذهباً لو افتدى به كان صواباً ، وهو بمنزلة قوله ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾ فالواو ها هنا كأن لها فعلاً مضمراً بعدها »[2].

وفي قوله تعالى ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ (الأعراف:٨) ، قال الرسعني : « قال الفراء : المراد بموازينه وزنه ، والعرب تقول : هل لك فى درهم بميزان درهمك ، ووزن درهمك »[3]، وهذه العبارة للفراء ذكرت في تفسير سورة القارعة ، وقد استعان بها الرسعني في سورة آل عمران ، ثم هناك عبارة للرسعني شبيهة لكلام الفراء ، وسأنقل العبارتين لتوضيح هذا الأمر ، قال الرسعني : « فقوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴾ (القارعة:٦) ، هو من باب إطلاق الجمع على الواحد »[4]، وقال الفراء : « ومَنْ تذهب بها إلى الواحد وإلى الجمع وهو كثير »[5].

٢- مجاز القرآن (لأبي عبيدة ت ٢١٠هـ)[6]

من كتب علوم القرآن التي تكررت كثيراً في تفسير الرسعني كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة وقد ذكره باسم مؤلفه ، كما في الأمثلة الآتية .

---

(١) هذا الاحتراس مهم وكان ينبغي ألا يفوت المفسرين حتى لا يذهب جواز حذف الواو إلى قراءة القرآن بدونها .

(٢) معاني القرآن ، يحيى بن زياد الفراء ٢٢٦/١ (تحقيق : أحمد يوسف نجاتي ، محمد علي النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب) .

(٣) رموز الكنوز ٨٣/٢ ، معاني القرآن للفراء ٢٨٧/٣ .

(٤) رموز الكنوز ٨٣/٢ .

(٥) معاني القرآن للفراء ٣٧٣/١ .

(٦) هو : أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي ، البصري ، النحوي صاحب التصانيف الكثيرة منها غريب القرآن ، ومعاني القرآن ، وغريب الحديث ، والديباج ، والتاج وغيرها كثير ، توفي سنة ٢١٠هـ وقيل ٢١١هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٣٥/٥ برقم ٧٣١ ، شذرات الذهب لابن العماد ٢٤/٢ .

ففي قوله تعالى ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ (آل عمران:٣٩) ، قال الرسعني : « قال أبو عبيدة : الكلمة كتاب الله ، تقول العرب : أنشدني كلمة فلان ، يعنون قصيدته ، وقال زهير في كلمته كذا وكذا»[١]، وهذه عبارة أبي عبيدة : « أي بكتاب من الله ؛ تقول العرب للرجل : أنشدني كلمة كذا وكذا ، أي قصيدة فلان وإن طالت»[٢]، ويلاحظ تصرف الرسعني قليلاً في العبارة .

وفي قوله تعالى ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ﴾ (آل عمران:٩٩) ، قال الرسعني : « قال أبو عبيدة : العِوج بكسر العين في الدين والكلام والعمل والعَوج ـ بفتحها ـ في الحائط والجذع»[٣]، وهي كسابقتها فتصرف الرسعني وصاغ العبارة بطريقته ، ولكن دون أن تغير المعنى ، واستعان هنا بمجاز القرآن في مسألة لغوية كما هو ملاحظ .

٣- معاني القرآن (الأخفش ت ٢١٥هـ)[٤]

ومن المصادر أيضاً في علوم القرآن كتاب معاني القرآن للأخفش حيث تكرر كثيراً في التفسير وذكره الرسعني باسم مؤلفه وهذه بعض النماذج التي أشار إليها الرسعني :

ففي قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأعراف:٥٦) قال الرسعني : « قال الأخفش : الرحمة بمعنى الإنعام ، فلذلك ذكّر »[٥]، وعبارة

---

(١) رموز الكنوز ١/١٧٠ .

(٢) مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ١/٩١ (تحقيق : محمد فؤاد سزكين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٢ ، ١٤٠١هـ ، ١٩٨١م) .

(٣) رموز الكنوز ١/٢٥٢ ، مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٩٨ .

(٤) هو : سعيد بن مسعدة المجاشعي النحوي المعروف بالأخفش الأوسط البصري ، صاحب التصانيف الكثيرة منها ، كتاب المقاييس ، والأوسط ، والاشتقاق ، والعروض وغيرها ، توفي سنة ٢١٥هـ ، وقيل ٢٢١هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٣٨٠ برقم ٢٦٤ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٢/٣٦ .

(٥) رموز الكنوز ٢/١٥٧ .

الأخفش في كتابه «فذكر ﴿ قَرِيبٌ ﴾ وهي صفة الرحمة وذلك كقول العرب ريح خريق[1] وملحقة جديد، وشاة شديس، وإن شئت قلت تفسير الرحمة ها هنا المطر ونحوه فلذلك ذكّر»[2]، ومن خلال المقابلة بين النصين يلاحظ اختصار وتصرف الرسعني في النص.

يستقي من الكتاب المسائل النحوية، فعند قوله تعالى ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ (يونس:٩٩)، قال الرسعني: «قال الأخفش: جاء بقوله جميعاً مع كل تأكيد[3] بقوله ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ (النحل:٥١)، وعبارة الأخفش في كتابه «فجاء بقوله جميعاً توكيداً، كما قال ﴿ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ ففي قوله ﴿ إِلَـٰهَيْنِ ﴾ دليل على الاثنين»[4]، ويلحظ تصرف الرسعني في عبارة الأخفش أيضاً.

٤- تفسير غريب القرآن (ابن قتيبة ت ٢٧٦هـ)[5]

اعتمد الرسعني كثيراً على كتب ابن قتيبة ويذكر مؤلفاته مقرونة باسمه غالباً وهذه بعض الأمثلة:

ففي قوله تعالى ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ﴾ (النساء:١٥٩)، قال الرسعني: «وقال جماعة منهم قتادة وابن قتيبة الضمير في ﴿ مَوْتِهِۦ ﴾ يعود إلى عيسى»، أما عبارة ابن قتيبة فقال: «يريد ليس من أهل

---

(١) أي: ريح باردة شديدة. انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ٨٧٨ (خرق)، (مؤسسة الرسالة، ط٨، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م).

(٢) معاني القرآن، سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش ٥١٩/٢ (تحقيق: دكتور عبد الأمير الورد، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م).

(٣) رموز الكنوز ١٠٧/٣.

(٤) معاني القرآن للأخفش ٥٧٤/٢.

(٥) هو: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري، النحوي صاحب التصانيف: منها أدب الكاتب، وغريب الحديث، ومشكل القرآن، وطبقات الشعراء توفي سنة ٢٧٦هـ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٢/٣ برقم ٣٢٨، شذرات الذهب لابن العماد ١٦٩/٢.

الكتاب في آخر الزمان عند نزوله أحد إلا آمن به حتى تكون المِلة واحدة ، ثم يموت عيسى بعد ذلك»[1]، ويتضح أن الرسعني استنبط من كلام ابن قتيبة ولم ينقل نص كلامه .

وفي قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلْغَضَبُ أَخَذَ ٱلْأَلْوَاحَ ۖ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (الأعراف: ١٥٤)، قال الرسعني : «قال ابن قتيبة أي : فيما نسخ فيها»[2] ، وعبارة ابن قتيبة «فيما نسخ منها»[3]، ولعله تصحيف ، وقد تتبعته في غير هذه المواضع ووجدت دقة نقله وصحة نسبته ، وكذلك لحظت اختصاره عبارات ابن قتيبة أحياناً[4].

٥- تأويل مشكل القرآن (ابن قتيبة ت ٢٧٦هـ)[5]

اعتمد الرسعني في تفسير مفردات غريب القرآن الكريم على تأويل مشكل القرآن الذي كان يذكره باسم مؤلفه ، كما في الأمثلة الآتية :

ففي قوله تعالى ﴿ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا ﴾ (يوسف: ٣١) ، قال الرسعني :« قال ابن قتيبة : يقال اتكأنا عند فلان ؛ إذ طعمنا ، والأصل في هذا أن من دعوته ليطعم أعددت له التكأة للمقام والطمأنينة ، فسمي الطعام متكأً على الاستعارة»[6] وقد نقل الرسعني النص كما هو إلا أنه لم يذكر بيتاً من الشعر ساقه ابن قتيبة وسط هذا الكلام .

---

(١) رموز الكنوز ٦٦٣/١ ، تفسير غريب القرآن ، لابن قتيبة ١٣٧ (تحقيق : السيد أحمد الصقر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٣٩٨هـ ، ١٩٧٨م) .

(٢) رموز الكنوز ٢٧٠/٢ .

(٣) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ١٧٣ .

(٤) انظر على سبيل المثال رموز الكنوز ٤٨٩ ، ٥٧٣ ، وتفسير غريب القرآن ١٨٥-١٩١.

(٥) سبقت ترجمته ص١٣٣.

(٦) رموز الكنوز ٣٢٥/٣ ، تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٠٨ ، ٢٠٩ (تحقيق : السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م) .

نقل عن ابن قتيبة وتصرف في النقل مختصراً كلامه ، ففي قوله تعالى ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ (الرعد:٣٥) ، قال الرسعني : « قال ابن قتيبة : المثل الشبه في أصل اللغة ، ثم قد يصير بمعنى صورة الشيء وصفته ، تقول : مثلت لك كذا ، أي : صورته ووصفته ، ورفعه على الابتداء »[١]، وهذه عبارة ابن قتيبة في كتابه « ولم يأت بالشيء الذي جعل له الجنة مثلاً ، فإن أصل المثل ما ذهبوا إليه من معنى المِثل ، تقول : هذا مِثل الشيء ومَثله ، كما تقول : هذا شِبه الشيء وشبَهَه ، ثم قد يصير المِثل بمعنى صورة الشيء وصفته ، وكذلك المثال والتمثال ، يقال للمرأة الرائعة كأنها مثال ، وكأنها تمثال ، أي صورة ، كما يقال : كأنها دمية ، أي صورة ، وإنما هي مثل ، وقد مثلت لك كذا ؛ أي صورته ووصفته ، فأراد الله بقوله ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ﴾ أي صورتها وصفتها »[٢].

٦- معاني القرآن (الزجاج ت ٣١١هـ)[٣]

لا تكاد تقلب صفحات عدة من التفسير إلا وتجد اسم الزجاج الذي يستند إليه الرسعني كثيراً في تفسيره ، ويشير إلى معاني القرآن غالباً باسم مؤلفه ، كما في الأمثلة الآتية :

يعتمد عليه في المسائل اللغوية كثيراً وينقل عنه النص وينسبه إليه فعند قوله تعالى ﴿ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ (الأعراف:٤١)، قال الرسعني : « قال الزجاج : وقوله ﴿ غَوَاشٍ ﴾ يزعم سيبويه والخليل جميعاً : أن النون ـ أي التنوين ـ ها هنا عوض من الياء ؛

---

(١) رموز الكنوز ٤٩٢/٣ .

(٢) تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ١٢٩ .

(٣) هو : إبراهيم بن محمد بن السري بن سهل الزجاج ، نحوي معروف له تصانيف عديدة منها الأمالي ، العروض ، مختصر في النحو ، الاشتقاق وغيرها ، توفي سنة ٣١٠هـ وقيل ٣١١هـ . ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٩/١ برقم : ٣١ ، شذرات الذهب لابن العماد ٢٥٩/٢ ورجح ابن العماد وفاته سنة ٣١٠هـ .

لأن غواش لا ينصرف والأصل فيها غواشي ...»[1]، ونقل كلاماً طويلاً للزجاج اكتفيت بهذا للاختصار ، ومما لاحظته بعض الاختلاف بين النصين وهو اختلاف طفيف ببعض الكلمات .

وفي قوله تعالى ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ﴾ (الأعراف:٧٨) ، قال الرسعني : «قال الزجاج : أصبحوا أجساماً ملقاة في الأرض كالرماد الجاثم»[2] وعبارة الزجاج في كتابه «فقد خمدوا من شدة العذاب ، وقال بعضهم أصبحوا كالرماد الجاثم»[3]، ويتبين تصرف الرسعني في عبارة الزجاج كما في المثال .

لا يرتضي قول الزجاج أحياناً ويستدرك عليه ويرده ، كما في قوله تعالى ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾(الرعد:٤٣)، قال الرسعني : «وقال الحسن ومجاهد : الذي عنده علم الكتاب ؛ هو الله عزَّ وجل ، واختاره الزجاج معللاً أن الله تعالى لا يَستشهد على خلقه غيرَه ، وهو تعليل فاسد»[4]، قال تعالى ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴾ (النساء:٤١).

٧- مشكل إعراب القرآن (مكي بن أبي طالب ت ٤٣٧هـ)[5]

لم يعتمد كثيراً على هذا الكتاب الذي أشار إليه باسم مؤلفه ، وأكتفي بهذا المثال في إعراب قوله تعالى ﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ

---

(١) رموز الكنوز ١٢٣/٢ ، معاني القرآن وإعرابه ، إبراهيم بن السري الزجاج ٣٣٨/٢ (تحقيق : دكتور عبد الجليل عبده ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) .

(٢) رموز الكنوز ١٨٥/٢ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣٥١/٢ .

(٤) رموز الكنوز ٥٠٣/٣ ، معاني القرآن للزجاج ١٥١/٣، ١٥٢ .

(٥) هو : مكي بن أبي طالب بن حموش بن محمد بن مختار القيسي ، أصله من قيروان ، وسكن قرطبة ، له تصانيف منها التبصرة في القراءات ، الهداية إلى بلوغ النهاية ، وغيرها كثير توفي سنة ٤٣٧هـ بقرطبة . ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٧٤/٥ ، شذرات الذهب لابن العماد ٢٦٠/٣ .

ٱلدَّارِ ۗ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الأنعام:١٣٥) ، قال الرسعني : « قال مكي : إن جعلت (مَن) استفهاماً كانت في موضع رفع بالابتداء ، وما بعده الخبر ، والجملة في موضع نصب ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ ، وإن جعلتها بمعنى (الذي) كانت في موضع نصب ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ [١].

وقال مكي في كتابه : « إن جعلت (من) استفهاماً كانت في موضع رفع بالابتداء ، وما بعدها خبرها ، وإن جعلتها بمعنى (الذي) خبراً كانت في موضع نصب بـ ﴿ تَعْلَمُونَ ﴾ [٢]، وعند المقابلة بين العبارتين يلاحظ أن هناك تصرفاً في العبارة من قبل الرسعني .

ثالثاً : كتب القراءات

أطال الرسعني في عرضه للقراءات وتوجيهها ، ولعل السبب في ذلك يعود لتبحره في هذا العلم فلا تكاد تمر بضع صفحات إلا وفيها ذكر للقراءات وتوجيهها ، ومن أشهر هذه الكتب التي استقى منها في هذا الصدد :

١- مختصر في الشواذ (ابن خالويه ت ٣٧٠هـ) [٣]

لم يعتمد الرسعني على هذا الكتاب كثيراً ، وأشار إليه باسم مؤلفه ، كما في قوله تعالى ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ﴾ (مريم:٨٩) ، قال الرسعني : « وقال ابن خالويه : الإدّ والأدّ : العجب»[٤]، وعبارة ابن خالويه : « الإدّ والأدّ العجب ، والأيْد والأد القوة»[٥]، وقد انتقى الرسعني من عبارة ابن خالويه كما يلاحظ ثم

---

(١) رموز الكنوز ١٢/٢ .

(٢) مشكل إعراب القرآن ، مكي بن أبي طالب القيسي ٢٩١/١ (تحقيق : ياسين محمد السواس ، دار المأمون للتراث ، دمشق) .

(٣) هو : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه ، نحوي ، لغوي ، له تصانيف منها كتاب ليس ، والاشتقاق ، والقراءات ، والجمل وغيرها ، توفي سنة ٣٧٠هـ بحلب ، ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ٩٩/٣، (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١١هـ ، ١٩٩١م) ، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٧٨/٢ برقم ١٩٤ .

(٤) رموز الكنوز ٤٦٦/٤ .

(٥) مختصر في الشواذ لابن خالويه ٨٩ ، (مكتبة المتنبي ، القاهرة) .

عقب الرسعني بقوله : «وهو معنى قول المفسرين ، كأن القائلين بذلك جاؤوا بشيء منكر عظيم من القول يتعجب منه»[1].

٢- الحجة (لأبي علي الفارسي ت ٣٧٧هـ)[2]

يتميز هذا الكتاب باللغة والنحو والقراءات وهو من أهم مراجع كتب القراءات وأوسعها ، وكان يشير إليه الرسعني في تفسيره باسم مؤلفه مع لقبه ، ويكتفي أحياناً بأبي علي ، وهذه بعض الأمثلة :

يعتمد عليه في توجيه القراءة نحويًا ، كما في قوله تعالى ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ (النساء:٣١)، قال الرسعني : «قال أبو علي : يجوز أن يكون المدخل مصدراً ، ويجوز أن يكون مكاناً سواء ضم أو فتح»[3]، وعند الرجوع لكتاب الحجة وجدت كلاماً طويلاً لأبي علي الفارسي تجاوز الصفحة عن توجيه قراءة مدخلاً بضم الميم أو فتحها ، وهذا يدل على أن الرسعني أخذ خلاصة قول الفارسي ، فضلاً عن القراءات ونسبتها إلى القرّاء .

وفي قوله تعالى ﴿ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ﴾ (الأعراف:٥٤) ، قال الرسعني : «قال أبو علي الفارسي : إنما لم يقل : يغشي النهار الليل ؛ لأنه معلوم من فحوى الكلام»[4]

---

(١) رموز الكنوز ٤٦٦/٤ ، ٤٦٧ .

(٢) هو : الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن محمد بن سليمان ، أبو علي الفارسي النحوي صاحب التصانيف منها : كتاب الحجة ، التذكرة ، الإغفال ، المقصور والممدود وغيرها ، توفي سنة ٣٧٧هـ ببغداد ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٨٠/٢ برقم ١٦٣ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٨٨/٣ .

(٣) رموز الكنوز ٤٨٩/١ ، الحجة للقرّاء السبعة ، لأبي علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي ١٥٣/٣ (تحقيق : بدر الدين قهوجي ، بشير جويجاتي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٧هـ ، ١٩٨٧م) .

(٤) رموز الكنوز ١٥٣/٢ .

كقوله ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ (النحل:٨١) ، وأما عبارة الفارسي : «ولم يقل : ويغشي النهار الليل ، كما قال ﴿ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ ولم يذكر تقيكم البرد للعلم بذلك من الفحوى ، ومثل هذا لا يضيق ، وكل واحد من الليل والنهار منتصب بأنه مفعول به»[١]، وبالمقابلة بين النصين يلحظ أن الرسعني تصرف بكلام أبي علي الفارسي دون أن يخل بالمعنى ، وهناك أمثلة أخرى فيما يتعلق بالتجويد واللغة وأكتفي بهذا القدر[٢].

٣- المحتسب (ابن جني ت ٣٩٢هـ)[٣]

من الكتب التي اعتمد عليها الرسعني في نقل القراءات ونسبتها إلى القراء كتاب المحتسب لابن جني ، وأشار إليه باسم مؤلفه ، وأحياناً يذكر اسم الكتاب مقروناً باسم مؤلفه ، كما في الأمثلة الآتية .

ففي قوله تعالى ﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ﴾ (يوسف:١٦) ، قال الرسعني : «وذكر أبو الفتح ابن جني في كتاب المحتسب أن الحسن قرأ : (عُشا) بضم العين والقصر ، أي عشوا من البكاء»[٤]، وقد تبين بالمقابلة أن ابن جني لم يذكر بضم العين والقصر ويبدو أن هذا توضيحاً من الرسعني ، وهذا المثال يوضح أن الرسعني ينقل القراءات وينسبها إلى القرّاء ، فضلاً عن توجيهها .

---

(١) الحجة للفارسي ٤/٢٨ .

(٢) انظر : على سبيل المثال في رموز الكنوز ٣/٥٧٩ ، ٣/٣٥٣ ، ٣/٥٣٠ .

(٣) هو : أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي ، صاحب التصانيف منها ، كتاب الخصائص ، التلقين في النحو ، سر الصناعة ، وغيرها توفي سنة ٣٩٢هـ ببغداد ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٢٤٦ برقم ٤١٢، شذرات الذهب لابن العماد ٣/١٤٠.

(٤) رموز الكنوز ٣/٢٩١ ، المحتسب ، عثمان بن جني ١/٣٣٥ (تحقيق : علي النجدي ، دكتور عبد الفتاح إسماعيل ، دكتور عبد الحليم النجار ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م) .

كما أنه يرد قول ابن جني ولا يرضاه أحياناً ، ففي قوله تعالى ﴿ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴾ (الشعراء:٦٤)، قال الرسعني : « وذكر أبو الفتح في المحتسب ، أن ﴿ ٱلْآخَرِينَ ﴾ موسى وأصحابه ، ولا أعلم أحداً من المفسرين ذكر هذا الوجه الذي ذكره وهو بعيد من التحقيق »[1]، وعند الرجوع لكتاب المحتسب وجدت أن الرسعني انتقى من كلام ابن جني ، وهذه عبارته « ومن قرأ وأزلفنا بالفاء فالآخرون موسى عليه السلام وأصحابه ، ومن قرأها بالقاف فالآخرون فرعون وأصحابه ، أي أهلكنا ثم الآخرين ، أي فرعون وأصحابه »[2].

٤- الكشف عن وجوه القراءات (مكي بن أبي طالب ت ٤٣٧هـ)[3]

اعتمد أحياناً على كتاب الكشف عن وجوه القراءات لمكي بن أبي طالب ، وكان يشير إليه باسم مؤلفه ، كما في الأمثلة الآتية :

يعتمد على كتاب الكشف في توجيه القراءات لغويًّا كما في قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ﴾ (النساء:١) ، قال الرسعني : « وقرأ حمزة بالجر ثم قال ، وقال مكي : هو قليل في الاستعمال ، بعيد في القياس ؛ لأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان ، يحسن في أحدهما ما يحسن في الآخر ، ويقبح في الآخر ، فكما لا يجوز (واتقوا الله الذي تسألون بالأرحام) فكذلك لا يحسن : تساءلون به والأرحام »[4]، وقد لاحظت بعد المقابلة بين النصين أن الرسعني تصرف قليلاً في العبارة .

وفي قوله تعالى ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ (الإسراء:٢٣)، قال الرسعني : « قرأ ابن كثير وابن عامر : (أفَّ) بالفتح من غير

---

(١) رموز الكنوز ٣٨٩/٥ .
(٢) المحتسب لابن جني ١٢٩/٢ .
(٣) سبقت ترجمته ص١٣٦.
(٤) رموز الكنوز ٤٠٩/١ ، الكشف عن وجوه القراءات السبع ، مكي بن أبي طالب القيسي ٣٧٥/١، ٣٧٦ (تحقيق : دكتور محيي الدين رمضان ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ١٣٩٤هـ ، ١٩٧٤م) .

تنوين ، وقرأ نافع وحفص بالكسر والتنوين ، وقرأ الباقون بالكسر من غير تنوين ، ثم قال الرسعني : قال مكي أصل ﴿ أُفٍّ ﴾ المصدر من قولهم : أُفّه وتُفّه ، أي نتناً ودفراً ، وهو اسم سُمي به الفعل مبني على فتح أو كسر أو ضم منون وغير منون ، فمَنْ نونه قدّر فيه التنكير ، ومَنْ لم ينونه قدّر فيه التعريف ، وموضعه النصب بالقول كما تقول : لا تقل لهما شتماً»[1].

وبالرجوع إلى كتاب الكشف تبين أن الرسعني نقل القراءات في هذه الآية ونسبها إلى القرّاء ، وكذلك وجدته قد تصرف في بعض النصوص واختصر منها بما لا يخل بالمعنى .

٥- المستنير (ابن سِوار ت ٤٩٦هـ)[2]

أشار الرسعني في تفسيره إلى دراسته هذا الكتاب على الشيخ أبي البقاء العكبرى فقال رحمه الله : «وهكذا قرأت على شيخنا أبي البقاء عبد الله ابن الحسين العكبري اللغوي ، هلّلت ، وكبّرت من أول سورة الضحى ، ثم من أول كل سورة إلى آخر القرآن ، وقرأت عليه بالتهليل والتكبير في رواية أخرى من أول (ألم نشرح) ، وقرأت عليه في رواية أخرى بالتكبير من غير تهليل وجميع ذلك عن ابن كثير بالإسناد المذكور في آخر كتاب المستنير لابن سوار رحمه الله»[3] وقد ذكر هذا الكتاب في بضعة مواضع مفصحاً عن اسم الكتاب ومؤلفه وأكتفي بهذا المثال .

---

(١) رموز الكنوز ١٤٨/٤ ، ١٤٩ ، الكشف عن وجوه القراءات لمكي القيسي ٤٤/٢ .

(٢) هو : أبو طاهر أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن سوار ، الحنفي ، البغدادي ، توفي سنة ٤٩٦هـ ببغداد . ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري ٨٦/١ ، الوافي بالوفيات للصفدي ٢٠٠٤/٧ .

(٣) رموز الكنوز ٦٦٨/٨ ، المستنير في القراءات العشر ، أحمد بن علي بن سوار البغدادي ٥٥١/٢، ٥٥٢ (تحقيق : دكتور عمار أمين الددو ، دار البحوث للدراسات الإسلامية ، الإمارات ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ، ٢٠٠٥م) .

ففي قوله تعالى ﴿ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴾ (النجم:٥٠) ، قال الرسعني : « قال ابن سوار صاحب كتاب المستنير : أجمعوا على الوقف على ﴿ عَادًا ﴾ بالألف ، واختلفوا في الابتداء بلفظة ﴿ ٱلْأُولَىٰ ﴾ فكان أهل المدينة والبصرة والمفضّل يبتدئون : الأولى بإثبات الهمزة وضم اللام الأولى ، وروى قالون إلا أبا نشيط[1] كذلك ، ويهمز الواو على أصله الباقون يبتدئون بهمزة مفتوحة وإسكان اللام وبعدها همزة مضمومة »[2]، وبالمقابلة لاحظت أن الرسعني نقل النص كما هو دون أن يتصرف فيه ، فضلاً عن اعتماده على نقل الروايات ونسبتها للقرّاء دون أن يشير لذلك .

٦- كشف المشكلات (الأصبهاني ت ٥٤٣هـ)[3]

ومن كتب القراءات المهمة التي اعتمد عليها الرسعني كتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات وعلل القراءات لأبي الحسن الأصبهاني الذي كان يذكره الرسعني غالباً قارناً بين اسم الكتاب ومؤلفه ، وهذه بعض الأمثلة :

ففي قوله تعالى ﴿ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (يونس:٨٩) ، قال الرسعني : « وقال أبو الحسن الأصبهاني صاحب كشف المشكلات : من شدد النون كان نهياً بعد أمر ، ومن خفف النون كان قوله ﴿ وَلَا تَتَّبِعَآنِّ ﴾ في موضع الحال ، أي : استقيما غير متبعين ، وأنشدوا قول الفرزدق :

---

(١) هو : محمد بن هارون ، أبو جعفر الحربي البغدادي ، ويعرف بأبي نشيط ، ولد عام نيف وثمانين ومائة ، إمام مقرئ ، أخذ القراءة عن قالون ، توفي سنة ٢٥٨هـ . انظر : ترجمته في غاية النهاية لابن الجزري ٢/٢٧٢ برقم : ٣٥٠٤ .

(٢) رموز الكنوز ٧/٥٠٠ ، المستنير لابن سوار ٢/٤٦٥ ، ٤٦٦ .

(٣) هو : أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الضرير الأصبهاني ، الباقولي ، المعروف بالجامع ، له تصانيف منها ، كتاب شرح اللمع ، والمجمل ، والبيان في شواهد القرآن ، توفي سنة ٥٤٣هـ ، ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤/٨٦ ، إنباه الرواة ، جمال الدين علي بن يوسف القفطي ٢/٢٤٧ (تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٦هـ ، ١٩٨٦م) .

بأيـدي رجـال لـم يشـيموا سـيوفهم ولـم تكثر القتلى بها حين سُلّتِ[1]

أي : لم يشيموا غير كاثرة بها القتلى ، والمعنى : لم يشيموا سيوفهم إلا في تلك الحالة»[2]، وهذا النص نقل كما هو دون تصرف من الرسعني .

ومن تعقيباته على قول الأصبهاني بعد الاستشهاد به كما عند تفسير قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾ (الفرقان:٣٢) ، قال الرسعني : «قال أبو الحسن الأصبهاني صاحب كشف المشكلات على هذا القول : اللام عنده في ﴿ لِنُثَبِّتَ ﴾ لام القسم ، والنون معها مقدرة تظهر إذا فتحت ، وتسقط إذا كسرت» ، ثم استدرك الرسعني على هذا القول فقال : «وعندي أن اللام متعلقة بما دل عليه قولهم : لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة ، معناه لِمَ أُنزل متفرقاً ؟ فقال : لنثبت به فؤادك»[3]، وبالمقابلة بين النصين وجدت أن النقل كان مختزلاً من نص طويل ، لكنه أُخذ حرفيًا .

* * *

(١) البيت للفرزدق وهو من البحر الطويل ، انظر : لسان العرب لابن منظور ١٧٩/٨ ، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ، دكتور إميل بديع يعقوب ٥٤٩/١ (دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤١٧هـ ، ١٩٩٦م) ، ولم أعثر عليه في ديوان الفرزدق .

(٢) رموز الكنوز ٩٣/٣ ، كشف المشكلات ، علي بن الحسين الأصبهاني ٥٧/١ ، ٥٨ ، ٥٥٠/١ (تحقيق : دكتور محمد أحمد الدال ، مجمع اللغة العربية ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م) .

(٣) رموز الكنوز ٣٢٢/٥ ، كشف المشكلات لأبي الحسن الأصبهاني ٩٧١/٢ .

المبحث الثاني

مصادره من كتب الحديث والفقه

أولاً : كتب الحديث

لا يخفى اهتمام الرسعني بالحديث النبوي والاستدلال به ، وسأعرض عن ذكر الأمثلة هنا للاختصار وخشية التكرار ، وسوف تأتي في البحث تباعاً ، ومكتفياً هنا بالتعريف بكتب الحديث .

١- الموطأ (الإمام مالك ت ١٧٩هـ)[١]، حيث أشار إليه الرسعني باسم الكتاب واسم مؤلفه[٢].

٢- المسند (الإمام أحمد ت ٢٤١هـ)[٣]، وقد ذكره الرسعني باسم الكتاب واسم مؤلفه[٤].

٣- الجامع الصحيح ـ صحيح البخاري ـ (الإمام البخاري ت ٢٥٦هـ)[٥]، أشار إليه باسم الكتاب وأحياناً يكتفي باسم مؤلفه وأحياناً الاثنين معاً[٦].

---

(١) هو : أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر الأصبحي المدني ، إمام دار الهجرة ، توفي سنة ١٧٩هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٣٥/٤ برقم ٥٥٠ ، شذرات الذهب لابن العماد ٢٨٩/١ .

(٢) رموز الكنوز ٢٩٨/٢ ، ٤٤٧ ، ٦١٩/٧ ، ٥٨٤/٨ وغيرها .

(٣) هو : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني ، إمام المحدثين ، له كتاب الزهد ، توفي سنة ٢٤١هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٦٣/١ برقم ٢٠ ، شذرات الذهب لابن العماد ٩٦/٢ .

(٤) رموز الكنوز ٢٥٨/١ ، ٢٦٦/٢ ، ٧١/٣ ، ٨٣/٤ وغيرها .

(٥) هو : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ، كان إماماً في الحديث ، له كتاب الأدب المفرد ، توفي سنة ٢٥٦هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٨٨/٤ برقم ٥٦٩ ، شذرات الذهب لابن العماد ١٣٤/٢ .

(٦) رموز الكنوز ١٧٥/١ ، ٤٦٢/٢ ، ٧٢/٣ ، ١٠٨/٤ ، وغيرها .

٤- الجامع الصحيح ـ صحيح مسلم ـ (الإمام مسلم ت ٢٦١هـ)[١]، أشار إليه الرسعني باسم الكتاب واسم مؤلفه وأحياناً يكتفي باسم مؤلفه[٢].

٥- سنن أبي داود (أبو داود السجستاني ت ٢٧٥هـ)[٣]، ذكره الرسعني باسم الكتاب ومؤلفه ، وأحياناً يكتفي باسم مؤلفه[٤].

٦- الجامع الصحيح ـ سنن الترمذي ـ (الإمام الترمذي ت ٢٧٩هـ)[٥]، وذكره بالجامع ، وأحياناً يشير إليه باسم مؤلفه[٦].

٧- السنن الكبرى ـ سنن النسائي ـ (الإمام النسائي ت ٣٠٣هـ)[٧]، أشار الرسعني إلى الكتاب باسم مؤلفه[٨].

---

(١) **هو** : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم بن ورد القشيري النيسابوري ، وله مصنّفات منها كتاب العلل ، وذكر أوهام المحدثين ، وطبقات التابعين وغيرها ، توفي سنة ٢٦١هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ١٩٤/٥ برقم ٧١٧ ، شذرات الذهب لابن العماد ١٤٤/٢ .

(٢) رموز الكنوز ٣٥٩/١ ، ٣٢٧/٢ ، ٣٧/٣ ، ١٠٨/٤ وغيرها .

(٣) **هو** : أبو داود سلمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير السجستاني الأزدي المحدث المعروف ، من مصنفاته كتاب المصابيح ، توفي سنة ٢٧٥هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٤٠٤/٢ برقم ٢٧٢ ، شذرات الذهب لابن العماد ١٦٧/٢ .

(٤) رموز الكنوز ٣٤٧/١ ، ٣٤٦/٢ ، ٢٢٦/٤ ، ١٨٥/٥ ، ٨٤/٦ وغيرها .

(٥) **هو** : أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك السلمي الترمذي ، له كتاب العلل ، توفي سنة ٢٧٩هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٧٨/٢ برقم ٦١٣ ، شذرات الذهب لابن العماد ١٧٤/٢ .

(٦) رموز الكنوز ٣٤٧/١ ، ٤٧٢/٢ ، ٣٠/٣ ، ٣٤٣/٤ وغيرها .

(٧) **هو** : أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي النسائي ، له مصنفات منها السنن الصغرى ، ومسند علي ، ومسند مالك وغيرها ، توفي سنة ٣٠٣هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٧٧/١ برقم ٢٩، شذرات الذهب لابن العماد ٢٣٩/٢.

(٨) رموز الكنوز ٦٠٢/٣ ، ٦٣٠ ، ٣٨٧/٨ وغيرها .

٨- المستدرك على الصحيحين (الإمام الحاكم ت ٤٠٥هـ)[١]، ذكره الرسعني بـ صحيح الحاكم ، وأشار إليه أحياناً بالمستدرك على الصحيحين[٢].

٩- تأويل مختلف الحديث (ابن قتيبة ت ٢٢٧هـ)[٣]، أشار الرسعني إلى هذا الكتاب باسمه واسم مؤلفه كما في قوله : «وذكر ابن قتيبة في مختلف الحديث : أن الله تعالى بعث موسى عليه الصلاة والسلام بالسبت ، ونسخ السبت بالمسيح»[٤]، وبالمقابلة بين النصين وجدت أن الرسعني قد اقتطع هذه العبارة من كلام ابن قتيبة ولم يتصرف في النص .

وأما بقية كتب الصحاح والسنن فسأكتفي منها بمثال من صحيحي البخاري ومسلم وأترك بقية الأمثلة من الكتب الأخرى ؛ لأنها ستأتي ضمن البحث تباعاً .

قال الرسعني[٥] : وفي الصحيحين من حديث علي ﷺ ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «خير نسائها مريم ابنة عمران وخير نسائها خديجة»[٦]، أي خير نساء الجنة .

---

(١) **هو** : أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم المعروف بالحاكم النيسابوري ، إمام أهل الحديث في عصره ، له مصنفات منها ، العلل ، والأمالي ، وفوائد الشيوخ وغيرها ، توفي سنة ٤٠٥ هـ ، وقيل ٤٠٣ هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٨٠/٤ برقم ٦١٥ شذرات الذهب لابن العماد ١٧٦/٣ .

(٢) رموز الكنوز ٤٠٤/١ ، ٢٩٨ ، ٣٩٨/٣ ، ١٧٧/٤ .

(٣) سبقت ترجمته في ص١٣٣ .

(٤) رموز الكنوز ١٠٧/٤ ، تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ٢٦١ (تحقيق : سعيد محمد السناري ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٧ هـ ، ٢٠٠٦م) .

(٥) رموز الكنوز ١٧٥/١ .

(٦) رواه البخاري في كتاب الأنبياء ، باب وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك برقم : ٣٢٤٩، ١٢٦٥/٣ (تحقيق : دكتور مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، دمشق ، ط٣ ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧م) ، ومسلم : في كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل خديجة برقم : ٢٤٣٠ ، ١٨٨٦/٤ (تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء الكتب ، القاهرة ، بدون سنة طبع) .

وستأتي بقية الأحاديث من كتب الصحاح والسنن في ثنايا البحث إن شاء الله تعالى .

ثانياً : كتب الفقه

١- مختصر الخِرَقي (الخِرَقي ت ٣٣٤هـ) [١]

يُعدُّ هذا الكتاب من أُمّات كتب الحنابلة ، وقد تتلمذ الرسعني على ابن قدامة المقدسي ودرس جُلّ كتبهم ، وألّف شرحاً لهذا المختصر سماه المنتصر في شرح المختصر[٢]، وأشار الرسعني إلى هذا الكتاب باسم مؤلفه ، وهذه بعض الأمثلة منه .

ففي قوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ (النساء:٢٥) ، قال الرسعني : « أي خاف الزنا ، فأباح الله نكاح الإماء بشرطين : أحدهما عدم طَوْل الحرة ، والثاني : خوف الزنا ، قال الخِرقي رحمه الله : وله أن ينكح من الإماء أربعاً ، إذا كان الشرطان فيه قائمين»[٣]، وبالمقابلة بين النصين وجدت أن الشرطين اللذين أشار لهما الرسعني ، قد ذكرهما الخِرَقي في مختصره ، ولم يشر الرسعني إلى هذا ، أما بقية العبارة التي نسبها للخِرَقي فقد نقلها نصًّا ولم يتصرف فيها .

وعند الحديث عن الفيء ، قال الرسعني : « فذكر الخِرَقي رحمه الله : أنه يُخمّس ، فيصرف خُمسه إلى من يصرف إليه خمس الغنيمة»[٤]، وهذه العبارة لم ينقلها الرسعني نصًّا ، وإنما اختصرها من كلام الخِرَقي وصاغها بأسلوبه .

---

(١) سبقت ترجمته : ص ٩٤ .

(٢) قلائد الجمان لابن الشعار الموصلي ٣/٢٦٠ .

(٣) رموز الكنوز ١/٤٧٩ بتصرف ، مختصر الخرقي ، عمر بن الحسين الخرقي ١٤٠ (تعليق : محمد زهير الشاويش ، دار السلام ، دمشق ، ط١ ، ١٣٧٨ هـ) .

(٤) رموز الكنوز ٨/٤٩ ، مختصر الخرقي ٢٠٠ .

٢- الحاوي الكبير (الماوردي ت ٤٥٠هـ)[١]

لم يقتصر الرسعني في اعتماده على كتب الفقه من المذهب الحنبلي ، بل أخذ عن المذاهب الأخرى وإن لم يصرح في كثير من الأحيان بها ، فهذا كتاب الحاوي الكبير - وهو شرح مختصر المزني على مذهب الإمام الشافعي - قد ذكره في التفسير كما في المثال الآتي :

ففي قوله تعالى ﴿ ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴾ (الرعد:٨) ، قال الرسعني : « وذكر الماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب - رحمه الله - في فرائض كتابه قال : أخبرني رجل ورد عليّ من اليمن طالباً للعلم وكان من أهل الدين والفضل ، أن امرأة باليمن وضعت حملاً كالكرش ، فظن أن لا ولد فيه ، فألقي على قارعة الطريق ، فلما طلعت عليه الشمس وحمي بها تحرك ، فأخذ وشُق فخرج منه سبعة أولاد ذكور ، عاشوا جميعاً ، وكانوا خلقاً سويًّا ، إلا أنه كان في أعضادهم قِصَر ، قال : وصارعني رجل منهم فصرعني ، فكنت أُعيّر فيقال لي : صرعك سُبُع رجل »[٢]، وقد نقل الرسعني هذا النص كما هو دون أن يتصرف فيه أو يعلق على هذه القصة التي يبدو أنه ارتضاها ، وكان الأجدر أن يبعد الرسعني عن تفسيره مثل هذا القصص الذي لا تترتب عليه أي فائدة .

وهناك آراء كثيرة للشافعي - رحمه الله - لم يشر فيها إلى كتاب الحاوي ولا إلى غيره من كتب الشافعية[٣].

---

(١) سبقت ترجمته ص١٢٢.

(٢) رموز الكنو ٤٤٧/٣ ، ٤٤٨ ، الحاوي الكبير ، علي بن محمد الماوردي : في كتاب الفرائض ، باب ميراث الخنثى ١٧١/٨ ، (تحقيق : علي محمد معوض ، عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م) .

(٣) انظر : رموز الكنوز ١٨/٨، ١٩ ، على سبيل المثال لا الحصر .

٣- الكافي في فقه الإمام أحمد (ابن قدامة ت ٦٢٠هـ)[١]

أشار الرسعني إلى هذا الكتاب باسم مؤلفه الذي يذكره دائماً بشيخنا وقد اعتمد عليه كثيراً ؛ ويعد هذا الكتاب من أكثر الكتب الفقهية التي اعتمد عليها الرسعني ولا غرابة في هذا ، فتتلمذه على ابن قدامة مبكراً جعله يتأثر كثيراً بشيخه ويذكره دائماً بهذا اللفظ ، كما في المثال الآتي :

ففي قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ (المجادلة:٣) . قال الرسعني : « وقال شيخنا الإمام أبو عبد الله بن أحمد المقدسي : العَوْد : هو الوطء ، في ظاهر كلام أحمد والخِرَقي ، قلت : وهذا مذهب الحسن وطاووس والزهري ، قال أحمد : العود الغشيان ؛ لأن العود في القول فعل ضد ما قال ، كما أن العود في الهبة ، هو استرجاع ما وهب ، فالمظاهر منع نفسه غشيانها ، فعوده في قوله غشيانها »[٢].

وقد لاحظت بعد المقابلة بين النصين أن الرسعني يتصرف في النص ، ويأتي بكلام من المغني كما في عبارة « وهذا مذهب الحسن والزهري . . . . » ويدخله في وسط كلام ابن قدامة من الكافي .

٤- المغني (ابن قدامة المقدسي ت ٦٢٠هـ)

ومن أكثر الكتب الفقهية التي اعتمد عليها الرسعني أيضاً كتاب شيخه ابن قدامة ولا غرابة في هذا ـ كما أسلفت ـ ، وكما في المثال الآتي :

يختصر كلام ابن قدامة ويتصرف في العبارة ولا ينسب القول لابن قدامة .

---

(١) سبقت ترجمته ص٧١ .

(٢) رموز الكنوز ١٠/٨ ، الكافي في فقه الإمام أحمد ، ابن قدامة المقدسي ٨٨٤/٢ (منشورات المكتب الإسلامي ، دمشق ، ط١ ، بدون سنة طبع) ، وانظر : المغني لابن قدامة المقدسي ٤٤١/١٠ (تحقيق : مجموعة ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٥هـ ، ٢٠٠٤م) .

ففي تفسير قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ﴾ (المجادلة:٣) قال الرسعني : « ولا يجزئ إلا رقبة سليمة من العيوب المضرة بالعمل ضرراً بيّناً ؛ لأن المقصود تمليك العبد منفعة نفسه وتمكنه من التصرف ، فلا يجزئ الأعمى ولا الزمن ولا مقطوع اليد أو الرجل ولا مقطوع الإبهام والسبابة أو الوسطى ، ولا مقطوع الخنصر والبنصر من يد واحدة ، وقطع أنملتين من إصبع كقطعها ، ولا يمنع قطع أنملة واحدة إلا الإبهام لأنها أنملتان ، فذهاب إحداهما مضر بالعمل ؛ كقطعهما . . . »[1]، وبعد المقابلة بين النصين وجدت أن الرسعني قد اختصر كلام ابن قدامة وتصرف فيه .

* * *

(١) رموز الكنوز ١٢/٨ ، المغني لابن قدامة ٤٥٦/١٠ ، ٤٥٧ .

المبحث الثالث

كتب اللغة والنحو والأدب

أولاً : كتب اللغة

لا يمكن لمفسر أن يستغني عن كتب اللغة والنحو في فهم القرآن الكريم الذي أُنزل بلسان عربي مبين ، فمعرفة اللغة أمر لابد منه فلا تجد كتاباً في التفسير إلا وفيه الاستدلال بهذه المراجع لفهم الآيات ، وقد اعتمد الرسعني في تفسيره على كثير من كتب اللغة وهي :

١- العين (الفراهيدي ت ١٧٠هـ) [١]

أخذ عن كتاب العين وكثيراً ما كان يذكره باسم مؤلفه الخليل كما في الأمثلة الآتية :

ففي قوله تعالى ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾ (الشورى:٣٢) ، قال الرسعني : « قال الخليل : كل موضع مرتفع عند العرب فهو علم »[٢].

وعبارة الخليل في كتابه « والعلم الجبل الطويل والجميع : الأعلام ومنه قوله تعالى ﴿ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴾ شبّه السفن البحرية بالجبال . . . »[٣].

---

(١) هو : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمر بن تميم الفراهيدي الأزدي ، إمام في اللغة والنحو له تصانيف عديدة منها ، كتاب الإيقاع ، والجمل ، والعروض وغيرها توفي سنة ١٦٠هـ ، وقيل ١٧٠هـ ، وقيل ١٧٥هـ ، ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ٣/٣٠٠ ، شذرات الذهب لابن العماد ١/٢٧٥ .

(٢) رموز الكنوز ٧/٨١ .

(٣) كتاب العين ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ٢/١٥٢ ، ١٥٣ (تحقيق : دكتور مهدي المخزومي ، دكتور إبراهيم السامرائي ، مؤسسة الأعلمي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م).

وفي قوله تعالى ﴿ يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي ٱلْحَافِرَةِ ﴾ (النازعات:١٠) ، قال الرسعني : « قال الخليل حافرة بمعنى محفورة »[١].

وعبارة الخليل هي « الحافرة العودة في الشيء حتى يرد آخره على أوله ، وقوله تعالى ﴿ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَمِ ﴾ أي في الخلق الأول بعد ما نموت كما كنا »[٢].

وقد لاحظت أن هذا المعنى أشار إليه الرسعني ولم ينسبه لأحد فقال : « والمعنى أنرد إلى أول حالنا وابتداء أمرنا »[٣].

٢- إصلاح المنطق (ابن السِّكيت ت٢٤٤هـ)[٤]

استعان الرسعني بكتاب إصلاح المنطق لابن السِّكيت في إيضاح معاني الكلمات ، كما في الأمثلة الآتية :

ففي قوله تعالى ﴿ وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا۟ وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُۥ ۖ قَالَ يَٰبُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَٰمٌ ﴾ (يوسف:١٩) ، قال الرسعني : « قال ابن السِّكيت : الدلو الغالب عليها التأنيث وتصغيرها دُلية ، وقد تذكّر قال عدي :

فهي كالدلو بكف المستقي ... خُذلَت منها العَرَاقي فانجذم »[٥]

وقد نقل النص هنا كاملاً كما لاحظته في إصلاح المنطق ولم يتصرف به[٦].

---

(١) رموز الكنوز ٤٧١/٨ .

(٢) كتاب العين للفراهيدي ٢١٢/٣ .

(٣) رموز الكنوز ٤٧٠/٧ .

(٤) هو : أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت البغدادي النحوي ، حجة في العربية ، وله تصانيف منها معاني الشعر ، القلب ، والإبدال توفي سنة ٢٤٤هـ ، وقيل ٢٤٦هـ . ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ٦٤٢/٥ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٩٥/٦ برقم ٨٢٧ .

(٥) البيت : لعدي بن زيد وهو من بحر الرمل ، ومعنى العَرَاقي جمع عَرْقوة الدلو ، انظر : لسان العرب لابن منظور ١٢٠/١٠ ، معجم شواهد اللغة العربية لإميل بديع ١٧/٧ .

(٦) رموز الكنوز ٢٩٦/٢ ، إصلاح المنطق لابن السكيت ٣٥٩ ، (تحقيق : أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون ، دار المعارف ، ط٤ ، مصر ، ١٩٧٠م) .

تصرف الرسعني قليلاً بكلام ابن السِّكيت فحذف منه بعض الكلمات كما سيتبين من خلال المطابقة بين النصين ، ففي قوله تعالى ﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴾ (الأنبياء:٧٨)، قال الرسعني : « قال ابن السِّكيت : النفش أن تنتشر الغنم بالليل ترعى بلا راع »[١]، وعبارته في إصلاح المنطق هي : « والنفش مصدر نفشت القطن والصوف ، والنفش أن تنتشر الإبل بالليل فترعى ، وقد أنفشتها إذا أرسلتها بالليل ترعى بلا راع ، وهي إبل نُفّاش »[٢] .

٣- جمهرة اللغة (ابن دريد ت٣٢١هـ)[٣]

استعان الرسعني بالجمهرة لابن دريد في بيان المفردات لغويًّا وكان يشير إليه باسم مؤلفه ، كما في الأمثلة الآتية :

ففي قوله تعالى ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ﴾ (آل عمران:١٤) ، قال الرسعني : « والقناطير جمع قنطار ، قال ابن دريد : أحسب أنه فارسي معرّب »[٤]، وعبارة ابن دريد في كتابه لم يذكر كلمة فارسي كما لاحظتها عند المقابلة بين النصين .

وفي قوله تعالى ﴿ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴾ (القيامة:١٥) ، قال الرسعني : « وجاء في التفسير أن المعاذير ستور واحدها معذار نقلاً عن الزجاج ، ثم قال : قال ابن دريد : كل شيء سترته فقد لططته ، ولطت الناقة بذنبها ؛ إذا جعلته بين

---

(١) رموز الكنوز ٦٤٣/٤ .

(٢) إصلاح المنطق لابن السِّكيت ٤١ .

(٣) هو : أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية البصري ، وله تصانيف منها كتاب المقتبس ، والاشتقاق وغيرها ، توفي سنة ٣٢١هـ ببغداد ، ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٩٦/٥ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٢٣/٤ برقم ٦٣٧.

(٤) رموز الكنوز ١٣٤/١ ، جمهرة اللغة ، محمد بن الحسن البصري المعروف بابن دريد ٣٤٠/٣ (دار صادر ، حيدر آباد ، ط١ ، ١٣٤٥هـ) .

فخذيها في عَدوها»[1]، وبالمقابلة وجدت أن الرسعني اختصر كلام ابن دريد ، إذ لم ينقل كل ما قاله .

٤- تهذيب اللغة (الأزهري ت ٣٧٠هـ)[2]

نقل الرسعني من هذا الكتاب وأشار إليه باسم مؤلفه ، كما في الأمثلة الآتية :

ففي قوله تعالى ﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ﴾ (الأعراف:٢٢)، قال الرسعني : « قال الأزهري : أصله تدلية العطشان في البئر ليروي من الماء فلا يجد الماء فيكون مُدلى بالغرور ، ثم وضعت التدلية موضع الإطماع فيما لا يجدي نفعاً فيقال : دلاه إذا أطمعه في غير مطمع»[3]، وبالمقابلة وجدت هذه العبارة وقد تصرف فيها الرسعني واختصرها من كلام الأزهري .

وفي قوله تعالى ﴿ ءَاتُونِى زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا ﴾ (الكهف:٩٦) ، قال الرسعني : « قال الأزهري : يقال لجانبي الجبل صدفان ؛ إذا تحاذيا ، لتصادفهما وتلاقيهما»[4]، وعبارة الأزهري « ويقال لجانب الجبلين إذا تحاذيا : صُدُفان وصَدَفان لتصادفهما أي تلاقيهما يلاقي هذا الجانب الذي يلاقيه ، وما بينهما مج أو شِعْب أو وادٍ ، ومن هذا يقال : صادفت فلاناً أي لاقيته»[5]، ويتبين من خلال المقابلة بين النصين اختصار الرسعني لكلام الأزهري وتصرفه في النص .

---

(١) رموز الكنوز ٣٨٧/٨ بتصرف ، جمهرة اللغة لابن دريد ١٠٨/١ .

(٢) هو : أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر بن طلحة الهروي الشافعي ، له تصانيف منها التهذيب ، علل القراءات ، معاني شواهد غريب الحديث وغيرها ، توفي سنة ٣٧٠هـ ، ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ١١٢/٥ ، شذرات الذهب لابن العماد ٧٢/٣ .

(٣) رموز الكنوز ٩٨/٢ ، تهذيب اللغة ، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري ١٧١/١٤ ، ١٧٢ (تحقيق : يعقوب عبد النبي ، وعبد السلام هارون ، الدار المصرية للتأليف ، القاهرة ، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م) .

(٤) رموز الكنوز ٣٦٨/٤ .

(٥) تهذيب اللغة للأزهري ١٤٦/١٢ .

٥- الصحاح (الجوهري ت٣٧٣هـ) [١]

أشار الرسعني في تفسيره إلى الكتاب باسم مؤلفه ، وأحياناً يذكر اسم الكتاب أو يشير إليهما معاً كما في الأمثلة الآتية :

ففي قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلْكُفْرِ ﴾ (التوبة:٣٧) ، قال الرسعني : « وقال الجوهري وغيره : هو فعيل بمعنى مفعول ، من قولك : نسأت (بالية) الشيء فهو منسوء ؛ إذا أخرته ، ثم صرفوا منسوءاً إلى نسيء ، كما صرفوا مقتولاً ومجروحاً إلى قتيل وجريح »[٢]، وبالمقابلة بين النصين وجدت أن الرسعني تصرف قليلاً بعبارة الجوهري هذه .

وفي قوله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا ﴾ (هود:٧٧) ، قال الرسعني : « قال صاحب الصحاح : يقال ضقت بالأمر ذرعاً ؛ إذا لم تطقه ، ولم تقف عليه ، وأصل الذرع إنما هو بسط اليد ، فكأنك تريد : مددت يدي إليه فلم تنله ، وربما قالوا : ضقت به ذرعاً »[٣]، وهي عبارة الجوهري نفسها كما في كتابه ، ولم يتصرف فيها الرسعني .

٦- مجمل اللغة (لابن فارس ت٣٩٥هـ) [٤]

كان اعتماد الرسعني على هذا الكتاب كغيره في بيان المفردات ومعانيها وأشار إليه باسم المؤلف وأحياناً باسم الكتاب ، كما في الأمثلة الآتية :

---

(١) هو : إسماعيل بن حماد الجوهري ، أبو نصر الفارابي ، له تصانيف منها كتاب المقدمة في النحو ، وعروض الورقة وغيرها ، توفي سنة ٣٧٣هـ وقيل ٣٩٣هـ في نيسابور ، ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ٢٠٥/٢ وإنباه الرواة للقفطي ٢٢٩/١ .

(٢) رموز الكنوز ٤٩١/٢ ، الصحاح للجوهري ٧٧/١ .

(٣) رموز الكنوز ٢٠٠/٣ ، الصحاح للجوهري ١٢١٠/٣ ، وانظر رموز الكنوز ١٤٨/٦ حيث قال الرسعني : وقال الجوهري صاحب الصحاح .

(٤) هو : أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازى اللغوي ، له تصانيف منها ، مقاييس اللغة ، ومقدمة في النحو ، وغيرها ، توفي سنة ٣٩٥هـ ، وقيل غيرها ، ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ٥٣٣/١ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ١١٨/١ برقم : ٤٩ .

ففي قوله تعالى ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ (الكهف:٥٢)، قال الرسعني: «وفي مجمل اللغة، قال ثعلب: كل شيء حال بين شيء فهو موبق، من وبق، يبق»[١]، وقد نقل الرسعني النص هنا كما هو ولم يتصرف فيه.

وفي قوله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴾ (الفرقان:٦٨)، قال الرسعني: «قال ابن فارس: الآثام مقصور الإثم ويقال العقوبة»[٢]، وهي عبارة ابن فارس في كتابه.

٧- معجم مقاييس اللغة (ابن فارس ت ٣٩٥هـ)[٣]

وقد أشار إلى هذا الكتاب باسم مؤلفه، كما في الأمثلة الآتية:

وفي قوله تعالى ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (آل عمران:٤٦)، قال الرسعني: «وقال ابن فارس: الكهل الرجل حين خطه الشيب»[٤]، وفي هذا النقل تصرف قليل من الرسعني بالنص كما اتضح عند المقابلة بين النصين.

وفي قوله تعالى ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾ (الأعراف:٥٧)، قال الرسعني: «قال ابن فارس: سُمي بذلك؛ لانسحابه في الهواء»[٥]، وعبارة ابن فارس: «سحبت ذيلي بالأرض سحباً، وسُمي السحاب سحاباً تشبيهاً له بذلك، كأنه ينسحب

---

(١) رموز الكنوز ٣٠٥/٤، مجمل اللغة، أحمد بن فارس ٩١٤/٢ (تحقيق: زهير عبد المحسن، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م).

(٢) رموز الكنوز ٣٥٣/٥، مجمل اللغة لابن فارس ٨٧/١.

(٣) سبقت ترجمته صـ ١٥٧.

(٤) رموز الكنوز ١٨٢/١، معجم مقاييس اللغة، لابن فارس ١٤٤/٥ (تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصطفى الحلبي، مصر، ط٢، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م).

(٥) رموز الكنوز ١٥٩/٢.

في الهواء انسحاباً»[1]، ويتبين هنا اختصار الرسعني لهذه العبارة وتصرفه فيها كسابقتها .

وفي قوله تعالى ﴿ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴾ (النبأ:٣٣) ، قال الرسعني : «قال ابن فارس : يقال كعبت المرأة كعابة ، وهي كاعب ، إذا نشأ ثديها»[2]، ونقل الرسعني هذه العبارة كما هي ولم يتصرف فيها كما يظهر عند المقابلة بين النصين .

ثانياً : كتب النحو

١- الكتاب (سيبويه ت١٦١هـ) [3]

لا خلاف في أن كتاب سيبويه يعد من أهم كتب النحو ، ولهذا اعتمد الرسعني عليه كثيراً ، وقد نوّع النقل عنه كما سيتضح من خلال الأمثلة ، وقد ذكر الرسعني هذا الكتاب باسم مؤلفه ، كما في الأمثلة الآتية :

أخذ عنه في المسائل النحوية كثيراً ففي قوله تعالى ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ (آل عمران:٢٦) ، قال الرسعني : «وكُسرت اللام من ﴿ قُلِ ﴾ لالتقاء الساكنين ﴿ ٱللَّهُمَّ ﴾ بمعنى يا الله ، والضمة التي في الهاء : ضمة المنادى المنفرد ، والميم المشددة عوض من (يا) فلذلك لا يجتمعان ، وقوله (يا اللهم) شاذ وهذا قول الخليل وسيبويه»[4]، وبالمقابلة بين النصين وجدت أن الرسعني قد اختصر كلاماً طويلاً لسيبويه عن الخليل وتصرف في النص .

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٤٢/٣ .

(٢) رموز الكنوز ٤٥٥/٨ ، معجم مقاييس اللغة ١٨٦/٥ .

(٣) هو : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه ، النحوي المعروف توفي سنة ١٦١هـ وقيل ١٩٤هـ ، ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ٤٩٩/٤ ، شذرات الذهب لابن العماد ٢٥٢/١ .

(٤) رموز الكنوز ١٤٧/١ ، الكتاب ، لأبي بشر عمرو بن عثمان المعروف بسيبويه ١٩٦/٢ (تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة) .

ينقل عن الخليل من كتاب سيبويه ولا يشير لذلك ويتصرف في كلام سيبويه ، كما في هذا المثال ، ففي قوله تعالى ﴿ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴾ (مريم:٦٩) ، قال الرسعني : « وقال الخليل : بل قوله ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ رفع على الحكاية ، والتقدير : لننزعنّ من كل شيعة من يقال له : ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ أشد على الرحمن عتيًّا ، فحذف القول وما اتصل به»[1]، كقول الشاعر :

ولقد أبيتُ على الفتاة بمنزل فأبيتُ لا حَرِج ولا محروم[2]

ثم قال الرسعني : « وأنكر ذلك سيبويه ، وزعم أن ذلك لا يجوز ، فلا يقال : اضرب الخبيثُ الفاسقُ على تقدير من يقال له : الخبيث الفاسقُ » ، وهذه عبارة سيبويه فقال : « وزعم الخليل أن أيهم إنما وقع في أضرب أيهم أفضل على أنه حكاية كأنه قال : اضرب الذي يقال له أيهم أفضل وشبهه بقول الأخطل :

ولقد أبيت من الفتاة بمنزلٍ فأبيت لا حَرِج ولا محروم[3]

ثم عقَّب سيبويه على كلام الخليل فقال : « وتفسير الخليل رحمه الله ذلك الأول بعيد ، إنما يجوز في شعر أو في اضطرار ، ولو ساغ هذا في الأسماء لجاز أن تقول : اضرب الفاسقُ الخبيثُ ، تريد الذي يقال له الفاسق الخبيث»[4]، ويلاحظ أيضاً اختصار الرسعني وتصرفه في النص .

---

(١) رموز الكنوز ٤٤٩/٤ .

(٢) البيت للأخطل وهو من البحر الكامل ، وذكر بديوان الأخطل ولقد أكون من الفتاة بمنزل ، انظر : ديوان الأخطل ٣٨٢/١ (تحقيق : دكتور فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، ط٢ ، ١٣٩٩هـ ، ١٩٧٩م) ، لسان العرب لابن منظور ٦١/٩ ، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية لإميل بديع ٢١٠/٧ .

(٣) رموز الكنوز ٤٤٩/٤ ، والكتاب لسيبويه ٣٩٩/٢ .

(٤) الكتاب لسيبويه ٤٠١/٢ .

ثالثاً : الأدب

١- شرح ديوان الحماسة (المرزوقي ت ٤٢١هـ)[١]

أشار الرسعني إلى هذا الكتاب باسمه واسم مؤلفه ، كما في قوله تعالى ﴿ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴾ (هود:٧١)، ذكر الرسعني قول الشاعر :

تضحك الضبع لقتلى هذيل وترى الذئب لها يستهل[٢]

قال بعض أهل اللغة : معناه تحيض (أي الضحك) ، ثم قال الرسعني : « ذكر المرزوقي في شرح الحماسة هذا المعنى فأنكره وقال : قول من قال : تضحك الضبع تحيض ، ليس بشيء»[٣] وعبارة المرزوقي في شرح الحماسة هي : « وليس قول من قال معنى تضحك ، تحيض بشيءٍ»[٤] ، ويلاحظ تصرف الرسعني في عبارة المرزوقي قليلاً .

* * *

---

(١) هو : أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، الأصبهاني ، صاحب المصنّفات منها ، شرح المفضليات ، شرح الفصيح وغيرها ، توفي سنة ٤٢١هـ ، ترجمته في معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٨/٢ ، بغية الوعاة ، جلال الدين السيوطي ٣٦٥/١ (تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٣٨٤هـ ، ١٩٦٤م) .

(٢) البيت : لتأبط شراً ، وقيل لغيره ، وهو من البحر المديد ، انظر : ديوان تأبط شراً (ثابت ابن جابر) ، ص٢٥٠ (تحقيق : علي ذو الفقار شاكر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) ، المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ، دكتور إميل بديع ٢٨٥/٦.

(٣) رموز الكنوز ١٩١/٣ .

(٤) شرح ديوان الحماسة ، أحمد بن محمد المرزوقي ٨٣٧/١ (تحقيق : أحمد أمين ، عبد السلام هارون ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ط٢ ، ١٣٨٧هـ ، ١٩٦٧م).

المبحث الرابع

كتب السيرة والزهد والرقائق وأخرى

أولاً : السيرة

١- سيرة (ابن إسحاق ت١٥٠هـ) [١]

كتاب السيرة لابن إسحاق من أهم كتب السيرة وقد نقل عنه الرسعني وأشار إليه باسم مؤلفه ، كما في الأمثلة الآتية :

ففي قصة بني قريظة وعند تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾(الأحزاب:٢٧)، قال الرسعني : « قال محمد بن إسحاق : لم يقتل من المسلمين يوم الخندق إلا ستة نفر ، وقتل من المشركين ثلاثة نفر ، وقتل يوم قريظة من المسلمين خلاد ابن سويد بن ثعلبة ، طرحت عليه رحى فشدخته فقط »[٢]، وعند المقابلة بين النصين وجدت أن الرسعني اختصر كلام ابن إسحاق حيث ذكر ابن إسحاق أسماء من قتل من المسلمين والمشركين ، فضلاً عن اختصاره لعبارة خبر خلاد بن سويد ففي الأصل يقول ابن إسحاق : « طرحت عليه رحى فشدخته شدخاً شديداً »[٣].

---

(١) هو : أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المدني ، صاحب المغازي والسِيَر ، توفي سنة ١٥٠هـ ، وقيل : ١٥١هـ ، وقيل : ١٥٢هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٧٦/٤ برقم ٦١٢ ، شذرات الذهب لابن العماد ٢٣٠/١ .

(٢) رموز الكنوز ١٣٨/٦ ، السيرة لعبد الملك بن هشام ١٥٥/٣ ، ١٥٦(تعليق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت ، بدون سنة طبع) .

(٣) السيرة لابن هشام ١٥٦/٣ .

وعند تفسير قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴾ (الفيل:١)، قال الرسعني : « قال ابن إسحاق : فبعثوا معه أبا رغال ـ مولى لهم ـ ليدله على البيت ، فلما بلغ المغَمّس[١] مات أبو رغال ـ وهو الذى يرجم قبره ـ فبعث أبرهة من المغمّس رجلاً من الحبشة يقال له الأسود على مقدمة خيله ، فجمع إليه أموال الحرم ، وأصاب لعبد المطلب مائتي بعير . . . »[٢].

وأما عبارة ابن إسحاق في السيرة كما وجدتها مع اختلاف قليل في بعض الكلمات ، والعبارة طويلة نقلها الرسعني واكتفيت منها بهذا النص .

٢- المغازي (الواقدي ت٢٠٧هـ)[٣]

أشار الرسعني إلى هذا الكتاب باسم مؤلفه واعتمد عليه ، كما في المثال الآتي :

ففي تفسير قوله تعالى ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ (الأحزاب:٢٧)، قال الرسعني : « قال الواقدي : واسم تلك المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي ، وكانت قد قتلت خلاد بن سويد[٤]، وقد نقل الرسعني قبل هذا الكلام قول عائشة رضي الله عنها، فقال : « وكانت عائشة رضي الله عنها تقول : ما أنسى عجباً منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل»[٥]، وعند الرجوع إلى كتاب المغازي

---

(١) هو : موضع بالقرب من مكة على طريق الطائف ، وبه مات أبو رغال . انظر : معجم البلدان لياقوت الحموي ١٨٨/٥ .

(٢) رموز الكنوز ٧٣٣/٨ ، السيرة لابن هشام ٤٢/١ ، ٤٣ .

(٣) هو : أبو عبد الله ، محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني ، تولى القضاء ببغداد أيام المأمون ، وله كتاب الردة ، توفى سنة ٢٠٧هـ ببغداد ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣٤٨/٤ برقم ٦٤٤ ، شذرات الذهب لابن العماد ١٨/٢ .

(٤) رموز الكنوز ١٣٨/٦ ، وانظر : أيضاً على سبيل المثال ٣٩٧/٢ ، ٤٨٥/٨ .

(٥) رموز الكنوز ١٣٨/٦ ، المغازي ، محمد بن عمر بن واقد الواقدي ١٨/٢ ، ١٩ ، (تحقيق : محمد عبد القادر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٤هـ ، ٢٠٠٤م).

وجدت أن كلام عائشة رضي الله عنها قد ذكره الواقدي ونقله الرسعني عنه ولكنه لم يشر إليه ، وتصرف في النص حيث اختصر كلام الواقدي ، وذكر الواقدي اسم المرأة نباتة ، بينما أشار الرسعني في نقله أنها بنانة وربما يكون تصحيفاً ؛ لتقارب الكلمتين .

٣- الاستيعاب (لابن عبد البرّ ت٤٦٣هـ) [١]

استعان الرسعني بكتاب الاستيعاب لابن عبد البرّ وكان يشير إليه باسم الكتاب وأحياناً باسم مؤلفه وأحياناً يذكرهما معاً ، كما في الأمثلة الآتية :

ففي تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴾ (النساء:١٠٥) ، قال الرسعني ، « قال ابن عبد البر في كتاب الاستيعاب : شهد بُشير مع أخويه بشر ومبشر أُحداً ، وكانوا أهل حاجة ، فسرق بشير من رفاعة بن زيد درعه ، ثم ارتدَّ في شهر ربيع الأول سنة أربع من الهجرة»[٢]. وهذه هي عبارة بن عبد البر كما وجدتها حيث لم يتصرف الرسعني فيها ونقلها كما هي ، وهي عبارة اقتطعت من آخر كلام ابن عبد البر .

وفي قوله تعالى ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾ (النحل:٨١) ، قال الرسعني : « واحدها سربال ، قال الشاعر :

---

(١) هو : أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ، إمام عصره في الحديث والأثر ، له تصانيف منها ، الاستذكار ، التمهيد ، وجامع بيان العلم وفضله وغيرها ، توفي في سنة ٤٦٣هـ بمدينة شاطبة شرق الأندلس ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٦٦/٧ برقم : ٨٣٧ ، شذرات الذهب لابن العماد ٣١٤/٣ .

(٢) رموز الكنوز ٦١٣/١ ، الاستيعاب ، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي ٢٥١/١ ، (تحقيق : علي محمد ، وعادل أحمد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٥هـ ، ١٩٩٥م) .

الحمـــد لله إذ لـــم يـــأتني أجلـــي حتى اكتسبت من الإسلام سِربالاً[1]

قال أبو عبيدة : لم يقل لبيد في الإسلام غير هذا البيت ، وكان قد عمّر مائة وخمسين سنة ، قال الحافظ ابن عبد البر : وقيل : إن هذا الشعر لقِرَدة بن نفاثة السلولي[2]، وهو الصواب»[3].

وعند المقابلة بين النصين وجدت أن كلام أبي عبيدة ذكره ابن عبد البر ولم يشر إليه الرسعني ، وكذلك تصرفه في النص حيث قال ابن عبد البر : «وقيل : إن هذا البيت لقِرَدة بن نفاثة السلولي وهو أصحّ عندي».

ثانياً : كتب الزهد والرقائق

١- الزهد (ابن المبارك ت ١٨١هـ)[4]

نقل الرسعني عن بعض كتب الرقائق ومنها كتاب الزهد لابن المبارك وذكره باسم مؤلفه ، ثم ساق النص وحذف منه السند ، ولاحظت أن هناك بعض الاختلاف في النقل وسأكتفي بذكر هذا المثال بنصيه كما جاء في التفسير ، وكتاب الزهد .

---

(١) البيت من البحر البسيط ، ونسب ابن قتيبة هذا البيت للبيد بن ربيعة ، انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة١/٢٦٧ ، (تحقيق : أحمد محمد شاكر ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م) .

(٢) هو : قِرَدة بن نفاثة بن عمرو بن ثوابة السلولي ، قدم بوفد وأسلم وأنشد شعراً للنبي ﷺ وعاش ١٤٠ وقيل : ١٥٠ سنة ، ترجمته في أسد الغابة لابن الأثير ٤/٣٩٨، برقم : ٤٢٨٢ ، (دار الشعب ، القاهرة ، بدون سنة طبع) وذكر البيت ونسبته للبيد ولقردة دون ترجيح ، الإصابة لابن حجر العسقلاني ٥/٤٢٩ برقم ٧٠٩٨ (تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار نهضة مصر ، بدون سنة طبع ، القاهرة).

(٣) رموز الكنوز ٤/٧٣ ، الاستيعاب لابن عبد البر ٣/٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٩٣ .

(٤) هو : أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح المروزي ، توفي سنة ١٨١هـ ، وقيل ١٨٢هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٣/٣٢ برقم ٣٢٢ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٢/٢٩٥ .

قال الرسعني : قد روى ابن المبارك بإسناده ، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ قال : (اطلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة ونحن نضحك ، فقال : أراكم تضحكون ، ثم أدبر حتى إذا كان عند الحِجر رجع إلينا القهقرى ، فقال : إني لما خرجت جاء جبريل عليه السلام فقال : يا محمد؟ يقول الله تعالى : لِمَ تقنّط عبادي ؟ ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ (الحجر:٤٩)) »[1].

وعبارة ابن المبارك (اطلع علينا رسول الله ﷺ من الباب الذي يدخل منه بنو شيبة فقال ﷺ : تضحكون ؟ ألا أراكم تضحكون ؟ أتضحكون ؟ قال : ثم أدبر وكأن على رؤوسنا الرَّخم[2]، حتى إذا كان عند الحجر قام ، ثم رجع إلينا القهقرى ، قال إني خرجت حتى إذا كنت عند الحِجْر جاء جبريل فقال : يا محمد إن الله يقول لِمَ تُقنّط عبادي من رحمتي)؟ ﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾ (الحجر:٤٩،٥٠) .

٢- الزهد (أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ)[3]

من كتب الرقائق أيضاً التي اعتمد عليها الرسعني في تفسيره كتاب الزهد للإمام أحمد ، وأشار إلى الكتاب باسمه واسم مؤلفه ، كما في الأمثلة الآتية :

قال الرسعني : « وأخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده ، أن الربيع ابن خُثَيم[4] جاءه سائل في ليلة باردة فخرج إليه فرآه كأنه مقرور[5] فقال ﴿ لَن

---

(١) رموز الكنوز ٦١٢/٣ ، ٦١٣ .

(٢) الرَّخم : بفتح الراء المشددة ، وهو طائر غزير الريش ، قاموس المحيط للفيروزآبادي ١١١٢ ، مادة (رخَمَ) .

(٣) سبقت ترجمته ، ص ١٤٥ .

(٤) هو : الربيع بن خُثَيم ، أبو يزيد الثوري الكوفي ، تابعي زاهد ، روى عن ابن مسعود وغيره من الصحابة رضي الله عنهم ، توفي قبل سنة ٦٥هـ . انظر : ترجمته في سير أعلام النبلاء للذهبي ٢٥٨/٤ .

(٥) مقرور أي اعتراه البرد ، انظر قاموس المحيط للفيروزآبادي ٤٦٠ (قرر) .

﴿ تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ (آل عمران:٩٢) ، فنزع بُرنساً له فأعطاه إياه ، ووقف سائل على بابه مرة أخرى ، فقال : أطعموه سُكراً ، فقالوا الخبز أنفع له ، فقال : ويحكم أطعموه سكراً فإن الربيع يحب السكر »[١].

وتبين عند المقابلة بين النصين أن الرسعني حذف السند ، ووجدت أن هناك فرقاً قليلاً ببعض الكلمات وهي لا تؤثر ؛ لأن معظم النص نقله كما هو .

وقال الرسعني : « أخرج الإمام أحمد في كتاب الزهد بإسناده عن مالك ابن دينار أنه قال : لو استطعت أن لا أنام لم أنم ، مخافة أن ينزل العذاب وأنا نائم ، ولو وجدت أعواناً لفرقتهم ينادون في منار الدنيا كلها يا أيها الناس : النار النار »[٢].

وبالمقابلة بين النصين اتضح أن هناك فروقاً طفيفة ، فضلاً عن حذف السند كما سبق ، ووجدت أمانة في النقل وصحة النسبة برد الأقوال لقائليها .

٣- شأن الدعاء (الخطابي ت ٣٨٨هـ)[٣]

أشار الرسعني إلى هذا الكتاب باسم مؤلفه وقد اعتمد عليه في بيان معاني أسماء الله الحسنى كما في هذه الأمثلة .

ففي قوله تعالى ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(آل عمران:١٧٣)، قال الرسعني : « قال الخطابي : الوكيل الكفيل بأرزاق العباد ومصالحهم ،

---

(١) رموز الكنوز ١/٢٤٠ ، الزهد للإمام أحمد بن حنبل ٢/٢٠٩ ، ٢١١ (تحقيق : دكتور محمد جلال شرف ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨١م) .

(٢) رموز الكنوز ٢/٣٦٠ ، الزهد للإمام أحمد ٢/٣٠٠ .

(٣) هو : أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي البستي ، كان فقيهاً أديباً محدّثاً له تصانيف منها ، غريب الحديث ، معالم السنن ، أعلام السنن وغيرها توفي سنة ٣٨٨هـ ، ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٢١٤ برقم ٢٠٧ ، وشذرات الذهب لابن العماد ٣/١٢٧ .

وحقيقته ، الذي يستقل بالأمر الموكول إليه»[1]، وقد تصرف الرسعني قليلاً في عبارة الخطابي وحذف منها «والقائم عليهم بمصالحهم».

وفي قوله تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴾ (هود:٩٠) ، قال الرسعني : وقال الخطابي : «هو اسم مأخوذ من الود ، وفيه وجهان أحدهما ، أن يكون فعولاً في محل مفعول ، كما قيل : رجل هيوب بمعنى مهيب ، وفرس ركوب بمعنى مركوب ، فالله تعالى مودود في قلوب أوليائه لما يتعرفونه من إحسانه إليهم ، والوجه الثاني : أن يكون بمعنى الواد أي : أنه يود عباده الصالحين ، بمعنى أنه يرضى عنهم ويتقبل أعمالهم ، ويكون معناه أنه سبحانه وتعالى يوددهم إلى خلقه لقوله تعالى ﴿ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴾ (مريم:٩٦)»[2].

وعند المقابلة بين النصين وجدت أن الرسعني حذف بضع كلمات بعد عبارة من إحسانه إليهم وهي «وكثرة عوائده عندهم»[3]، وقد نقل النص كما هو ونسبه لقائله .

٤- كتاب مثير العزم الساكن ، وكتاب الحدائق (ابن الجوزي ت٥٩٧هـ)[4]

ومن كتب الزهد كتاب مثير العزم الساكن ، وكتاب الحدائق لابن الجوزي الذي سأكتفي بالمثال عنه ، فقد أشار الرسعني إلى هذا الكتاب باسمه واسم مؤلفه ، كما في المثال الآتي :

ففي تفسير قوله تعالى ﴿ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾(الأعراف:٤٣)، قال الرسعني : وأخرج الإمام أبو الفرج بن الجوزي في كتاب الحدائق بإسناده عن جابر بن عبد الله قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ فقال:

---

(١) رموز الكنوز : ٣٦٩/١، شأن الدعاء ، حمد بن محمد الخطابي : ٧٧، (تحقيق : أحمد يوسف الدقاق ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، ط١ ، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م) .

(٢) رموز الكنوز : ٢١٧/٣ ، ٢١٨ .

(٣) شأن الدعاء للخطابي : ٧٤ .

(٤) سبقت ترجمته ص ١٢٧ .

خرج من عندي جبريل «آنفاً» فقال يا محمد والذي بعثني بالحق إن لله عبداً من عباده عبَد الله خمسمائة سنة على رأس جبل عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً ، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية ، وأخرج الله له عيناً عذبة بعرض الإصبع تنبض بماء عذب . . . . .)[1].

وهذا حديث طويل نقلت جزءاً منه اختصاراً ، ولاحظت أن الرسعني قد حذف السند ، ثم نقل الحديث بكامله كما هو ، ولم يعقِّب عليه بشيء وكان أميناً في النقل والنسبة .

ثالثاً : كتب أخرى

ومن الكتب الأخرى التي أشار إليها الرسعني في تفسيره وذكرها عرضاً :

١- التقشير في التفسير[2] .

٢- الإنصاف لأبي السعادات بن الأثير[3]، وهو في التفسير .

---

(١) رموز الكنوز ١٣١/٢ ، الحدائق لابن الجوزي ٢٥٩/٣ ، ٢٦٠ ، (تحقيق : مصطفي السبكي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) ، والحديث أخرجه الحاكم في المستدرك ، في كتاب التوبة والإنابة ٢٥٠/٤ (دار المعرفة ، بيروت ، بإشراف دكتور يوسف المرعشلي) ، وقال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد وتعقبه الذهبي في التلخيص ، فقال : لا والله وسليمان غير معتمد ٢٥١/٤ ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان ، باب تحديد نعم الله عز وجل وشكرها برقم ٤٦٢٠ ، ١٥٠/٤ (تحقيق : محمد السعيد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٠هـ ، ١٩٩٠م) ، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي في الأصل السابع : وترجيح الرجاء على القنوط ٢٣٣/١ ، (تحقيق : أحمد عبد الرحيم والسيد الجميلي ، دار الريان للتراث ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م) .

(٢) رموز الكنوز ٦٧٧/١ ، قال صاحب كشف الظنون : وتقشير التفسير لناصر الدين عالي بن إبراهيم بن إسماعيل الغزنوي الحنفي المتوفى سنة ٥٨٢هـ في مجلدين أبدع فيه وأجاد ، انظر كشف الظنون لحاجي خليفة ٤٦٦/١ .

(٣) رموز الكنوز ٦٧٧/١ ، قال صاحب كشف الظنون : الإنصاف في الجمع بين الكشف للثعلبي والكشاف للإمام أبي السعادات مبارك بن محمد بن الأثير الجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ ، وهو تفسير كبير جمع فيه بين تفسير الثعلبي والزمخشري ، انظر كشف الظنون ١٨٢/١ .

٣- الإبانة لابن بطة[١]، وهو من كتب العقيدة .

٤- المختار لابن مقسم العطار[٢]، ويبدو أنه من كتب النحو .

٥- الترغيب والترهيب للحافظ أبي موسى[٣].

٦- الحجة لابن البناء[٤]، ويبدو أنه في القراءات .

رابعاً : مصادر شفهية منقولة عن علماء عصره ، ومصادر لم يسمها

ومن هذه المصادر ما أشار إلى نقله عن علماء عصره مشافهة وذكر ذلك في تفسيره وذكر هؤلاء العلماء بأسمائهم[٥]، وهناك مصادر لم يسمها فكان يذكرهم بصورة مجملة كما في الأمثلة الآتية :

فيقول الرسعني : قال المفسرون[٦]، أو قال أهل التفسير[٧]، أو قال أهل العلم بالتفسير والسير[٨]، أو قال اللغويون والمفسرون[٩].

الخلاصة بشأن طريقته في الاستفادة من المصادر

إذا كان للأولين فضل السبق ، وللآخرين حسن الترتيب والتهذيب فإن الرسعني واحد من هؤلاء الذين هذبوا وأجادوا فضلاً عن زيادة الفوائد التي تبدو واضحة لقارئ التفسير .

---

(١) رموز الكنوز ٢١٨/٤ ، **والإبانة هو** : كتاب مطبوع للإمام عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري ، تحقيق : أحمد فريد ، طبعته دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ ٢٠٠٢م .

(٢) المصدر السابق ٢٨٣/٣ .

(٣) المصدر السابق ٣٦٧/٣ .

(٤) المصدر السابق ٥٣٢/٣ .

(٥) المصدر السابق ٤٩٥/١ ، ١٥١/٢ ، ١٨١/٢ ، ١٥/٣ ، ٩٩/٨ وغيرها .

(٦) المصدر السابق ١٨٦/١ ، ٥٩٣/٢ ، ١٧٠/٣ ، ١٧٩/٤ وغيرها .

(٧) المصدر السابق ٥٩١/٢ ، ٢٨٨/٣ .

(٨) المصدر السابق ٣٦٨/٣ ، ٢٢١/٤ ، ٥١٠/٤ .

(٩) المصدر السابق ٤٧١/٤ .

وبعد الاستعراض الموجز عن مصادر الإمام الرسعني رحمه الله في تفسيره أود أن أجمل بعض الملاحظات التي سجلتها خلال البحث وهي :

١- نوّع الرسعني مصادره ما بين كتب التفسير وعلوم القرآن والقراءات والحديث واللغة والنحو والفقه والزهد وغيرها مما أثرى تفسيره بثروة طيبة من كتب التراث ، وحاول أن يثري معنى الآية من خلال هذا التنوع .

٢- أشار الرسعني في معظم نقله إلى من ينقل عنهم ، سواء بذكره الكتاب أو مؤلفه ، بينما لم يشر أحياناً لمن ينقل عنهم .

٣- لم يكن الرسعني مجرد ناقل بل كان يرد بعض الأقوال وينكرها ، ويرجّح رأيه أو رأياً آخر .

٤- ينقل النص دون أن يتصرف فيه ، وأحياناً يتصرف في النقل أو يختصره ويعيد صياغة الجملة بأسلوبه .

٥- اعتمد في مصادره على علماء عصره أحياناً فكان ينقل أقوالهم كما سمعها مشافهة .

٦- لا يحدد الرسعني نقله وينصص عليه ؛ لذا لا يستطيع القارئ أحياناً أن يعرف نهاية النص المنقول إلا بالرجوع إلى المصدر نفسه .

٧- أشار الرسعني إلى بعض الكتب التي لا تزال مخطوطة ولم تر النور ، وهو بهذا يوّثق نسبة هذه المخطوطات لأصحابها فيفيد منها الباحثون بالاعتماد على هذه النسبة والتوثيق[1].

* * *

(١) كما في كتاب التقشير في التفسير وغيره ، ينظر رموز الكنوز ٦٧٧/١ ، ٢٨٣/٣ .